سلسلة دراسات في الإعلام الإسلامي و الرأي العام (١٨)

العلاقة بين العلماء والناس

من قضايا الرأي العام

أ د/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي
الأستاذ بكلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الفضيلة

ثانية



العلاقة بين

العلماء والناس

من قضايا الرأي العام

أ د/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي
أستاذ الإعلام الإسلامي
بكلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الفضيلة
الرياض ١١٤٣٣ ص.ب ١٠٣٨٧
تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٣

الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

ⓒ دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشنقيطي ، سيد محمد ساداتي

العلاقة بين العلماء والناس - ط ٢ - الرياض .

٨٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ١ - ٤ - ٩١٧٥ - ٩٩٦٠

١- الإسلام والعلم ٢- العلماء المسلمون

٣- الإسلام والعلاقات العامة أ- العنوان

ديوي ٢١٩,٧ ١٩/٤٦٩٢

رقم الايداع ١٩/٤٦٩٢

ردمك : ١ - ٤ - ٩١٧٥ - ٩٩٦٠

دار الفضيلة

الرياض ١١٤٣٣ ص ب ١٠٣٨٧

تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٣

المقدمة

وتشتمل على :

- خطبة الحاجة.
- القضية موضوع النظر .
- دواعي النظر فيها.
- كيف عُولجت من قبل .
- منهج النظر فيها.
- التساؤلات التي تحدد معالمها وتكشف عن طبيعتها .
- كيف جمعت المادة العلمية للمعالجة .
- صعوبات اكتنفت المعالجة .
- خطة المعالجة .
- ثناء على الله الذي أعان على تناولها ووفق فيه .

خطبة الحاجة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾(٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾(٣) .

أما بعد :

القضية موضوع النظر:

فقد شغلت نظم الحكم في العالم اليوم باهتمامات الناس ورغباتهم باعتبار أن الرأي العام (الناس) أصبح ذا نفوذ وسطوة في إدارة شئون الحياة كافة، ومن هنا قد يجد من الظواهر والمظاهر ما يكون موضوعاً من موضوعات الرأي العام، ومن ثم يستوقف الباحث المتأمل المتابع لحركة الحياة والمهتم بسداد هذه الحركة .

والحياة التي نعنيها في سياقنا هذا هي حياة المسلمين ذات المذاق الخاص، والطعم المميز، والرأي العام الذي نتحدث عنه ونتناول هو خاصية في الأمة المسلمة تكون بها حراسة الدين وسياسة الدنيا، أو حماية العقيدة وتطبيق الشريعة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٢ .
(٢) سورة النساء، الآية : ١ .
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان : ٧٠ ، ٧١ .

أو تحقيق صلاح الدين والدنيا معاً، أو الخير للإنسان في الدنيا والآخرة نسميها (الكينونة الاجتماعية المتميزة) (١) هذه الكينونة التي تأخذ مكانتها من قاعدة التكريم الإلهي للإنسان، ومن قاعدة أخرى هي أن الآراء توزن ولا تعد، وأن العبرة بنوع الرأي ومدى مطابقته لما جاء به الرسول ﷺ أي بمقدار إصابته للحق وما فيه من صواب، وهما قاعدتان عظيمتان أصلتهما نصوص في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢) ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ (٣) ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٤)، بهما تميزت نظرة المسلمين للرأي العام، وأضفتا عليه من الخصائص والسمات ما ليس لغيره في نظرة غير المسلمين له كما يشهد بذلك الواقع، فالدافع للرأي العام عندنا دافع إيماني والباعث لحركته باعث عقدي غالباً يستحث أصحابه للوصول إلى الصواب الموافق للحق في تجرد كاما عن الأهواء والنزوات، في حين أن الدافع للآخرين الذين لم يؤسسوا نظرتهم للحياة في أطرها المختلفة على الحق: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ (٥) ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (٦) ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٧) ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٨).

فلم تثمر رقياً في الحياة، ولا استقراراً ولا رشداً في الحركة بل ولا نبلاً في

(١) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام للمؤلف، ص ٣٦، ٣٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٥) سورة النجم، الآية: ٢٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
(٧) سورة النجم، الآية: ٢٨.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

الغاية لارتباطها بالأهواء وقيامها عليها كما تشير النصوص القرآنية السابقة، وكما يؤكد قوله جل جلاله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (١). وقوله سبحانه: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ (٢) ولا مقارنة بين نظرة تقوم على ما سبق ونظرة تؤسس على الحق والتقوى كما هي عندنا.

وكما اختلفت نظرتنا إلى الرأي العام عن نظرة غيرنا، فإن القضايا التي تكون موضع اهتمام الرأي العام عندنا ستختلف هي الأخرى عن القضايا ذات الاهتمام من الرأي العام عند الآخرين، فأهمية القضية عندنا إنما تكون بمقدار تأثيرها في الحياة التي لا تنفصل فيها الدنيا عن الآخرة بل إنها تجعل الدنيا مزرعة للآخرة. فتؤثر بذلك الآخرة على الدنيا، والآجلة على العاجلة، والباقية على الفانية والتي يتسع فيها مدلول الحياة ليشمل حياة البرزخ مع حياتي الدنيا والآخرة.

واهتمام المسلمين بتلك القضايا نابع من ارتباط القضايا بتلك المعاني، وقضيتنا التي نتناولها من القضايا الخاصة بالرأي العام الإسلامي (الكينونة المتميزة للأمة المسلمة) وهي قضية العلاقة بين العلماء والناس، ذلك أن العلماء هم ورثة الأنبياء، وكفى بذلك منزلة، وكفى بذلك سبباً من أسباب انقياد الناس لهم، فالثقة بهم أساسها هذه الوراثة(٣). حيث لوحظ انصراف الناس عن العلماء فيما يتعلق باستشارتهم في قضايا الحياة التي تحدث لهم ليعرفوا من خلال تلك الاستشارة حكم الله في مسائل الحياة المختلفة التي تعرض لهم كي يتبعوه فيسعدوا في العاجل والآجل، وتوجه الناس إلى جهات أخرى لاستفتائها نيابة عن العلماء لأسباب قد تظهر من جراء البحث، إذاً فمدار البحث حقيقة إنما هو العلاقة بين

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.
(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٣) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ٨٤، ١٧٦.

العلماء في صورها المختلفة، ما كانت عليه في عصور المسلمين الزاهية، وما هي عليه اليوم، وما ينبغي أن تكون عليه، والآثار المترتبة على تلك العلاقة صحة واعتلالاً.

والأسباب التي دعت إلى النظر في هذه القضية هو ما قد يلحظه الإنسان المتابع لحركة حياة المسلمين اليوم ممثلاً فيما يلي:

١ ـ تأخر العلماء عن مكانتهم رغم أهميتهم للحياة البشرية.

٢ ـ شدة الحاجة إليهم الآن لشيوع الجهل بالعلم الشرعي مع كثرة سبله وروافده.

٣ ـ انحراف الحياة التي لا تؤسس على العلم، ولا تقاد به وشيوع ذلك الآن في كثير من بلاد المسلمين.

٤ ـ اختلال العلاقة التي ينبغي أن تقوم بين العلماء والناس باعتبارهم ورثة الأنبياء حيث يلاحظ المتابع أن هذه العلاقة لم تعد في حالتها السوية لشيوع ظواهر خلل هذه العلاقة في واقع حياة الناس مما قد يجري الكشف عنه أثناء معالجة القضية.

٥ ـ الرغبة في لفت الانتباه لهذه القضية ذات الأثر البالغ في حياة الناس والإسهام بقدر الإمكان في الإصلاح والنصح للمسلمين عملاً بقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**..»[١] من باب الحيلولة بينهم وبين الآثار المدمرة التي تنتج عن استفحال الخلل فيها وتمكنه.

وسنعالج هذه القضية بعون من الله سبحانه وتعالى من خلال تشخيصها تشخيصاً دقيقاً وفقاً لما يتاح لنا من علم في حدود النصوص الشرعية وما قام الدليل على صحته من حوادث ومواقف تسهم في الكشف عن أبعادها المختلفة، ثم محاولة بيان المظاهر التي تثبت اعتلالها في حياة الناس اليوم مع استفراغ الوسع في

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان ٩٥. والبخاري، كتاب الإيمان ٤٢.

تقديم رؤية يعتقد أنها تقدم علاجاً حقيقياً لذلك الخلل في حدود المباح المتاح، وفي نطاق الممكن المستطاع.

ومعالجة القضية بالكيفية السابقة يتطلب وصولاً للحقائق المتعلقة بها اتباع مناهج محددة تقتضيها طبيعتها[١] ممثلة في المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التأملي الاستنباطي[٢] حيث سيكون هناك نوع من التتبع التاريخي لحوادث ومواقف تجلت فيها مظاهر صحة العلاقة بين العلماء والناس وأثمرت ثمارها اليانعة في الحياة، كما سيجري وصف كامل وتشخيص كلي لأبعادها المختلفة بحيث تكون في غاية من الظهور والبيان ثم يأتي بعد ذلك دور التأمل المنهجي الواعي والاستنباط الممكن قدر المستطاع سعياً وراء فهم سليم لها وعلم صحيح بها، وإصلاح شامل لما ترتب عليها من فساد في جوانب الحياة المختلفة[٣].

ومعالجة القضية موضوع البحث بالصورة التي ذكرت من قبل يستدعي إثارة مجموعة من الأسئلة تمثل في مجموعها لب مشكلة البحث بحيث تؤدي الإجابة عنها في دقة وأمانة ووضوح ونزاهة كشفا عن حقيقة القضية المدروسة وصولاً للغاية العلمية من دراستها، وقد يكون من الأوفق لأسلوب المعالجة هنا طرح الأسئلة على شكل محاور دراسة القضية هي:

المحور الأول: محور التشخيص. والأسئلة فيه هي:

(١) انظر: نحو منهجية إسلامية للعلوم الإنسانية الاجتماعية، المؤلف، دار السلم بالرياض، ط١ عام ١٤١٥هـ، ض ٣٥، ٤٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣) انظر: منهج البحث في العلوم الإسلامية، د. محمد الدسوقي، ص ٢٧ ـ ٢٨، دارالأوزاعي.
وانظر: الدراسة الأولى في مناهج البحث الاجتماعي في القرآن الكريم وعند علمائه ومفسريه، د. لبيب السعد، دار عكاظ للطباعة والنشر، ط١ عام ١٤٠٠هـ، ص ١٥٩.

ما مفهوم العلماء ؟ أو ما المقصود بالعلماء على وجه التحديد في البحث؟ ما طبيعة العلاقة السوية بين العلماء والناس ؟ وكيف كانت ؟! ماذا عليه هذه العلاقة في وقتنا الحاضر ؟! وما طبيعة العلاقة المأمولة والمطلوبة بين العلماء والناس في الوقت الحاضر أيضاً؟!

أما المحور الثاني : فهو محور مظاهر اختلال العلاقة وفيه :

ما العوامل أو الأسباب التي أدت إلى اختلال العلاقة ؟ وما مظاهر هذا الاختلال ؟ وما آثاره ؟

والمحور الثالث : من محاور هذه الأسئلة يتعلق بعلاج الظاهر وأسئلته هي :

هل من علاج شاف لاعتلال العلاقة ؟! وما هو ؟! وبمعنى آخر هل من سبيل لتقوية الصلة بين العلماء والناس؟ وما هو ؟ وكيف يسلك ؟!

ولا شك أن قضية كهذه يمكن أن تثار أسئلة كثيرة في نطاق السعي لاستجلاء معالمها ، غير أننا مع ذلك نعتقد أنه بالإجابة عما طرحناه من أسئلة سنكون قادرين بإذن الله على إدراكها على حقيقتها ، وقادرين على إصلاحها محققين بذلك ما تصبو إليه الأمة من عزة وسؤود .

ولن تكون الإجابة وافية شافية ما لم تتوفر لها مادة علمية غزيرة يؤدي الغوص فيها إلى سبر أغوار القضية في جوانب معالجتها التي أوضحناها من قبل ، وقد كلف ذلك جهداً كبيراً في استنطاق النصوص الشرعية من كتاب وسنة وأقوال العلماء فيما يتعلق بها من قريب أو بعيد في الدراسات الإسلامية عموماً ، والدراسات الإعلامية الإسلامية ذات الصلة بالرأي العام الإسلامي خصوصاً ونرجو أن تكون المحصلة لهذا الاستنطاق محققة للغرض العلمي من البحث .

وربما كانت أشد الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء دراسة القضية ، هو شدة التوجس من معالجتها خوفاً من القصور في الوفاء بمتطلبات دراستها علمياً ،

إضافة إلى شدة الإحساس بأهميتها وخطورتها ، لكن الرغبة في مثوبة الله سبحانه والتوكل عليه والاستعانة به قوت من إرادة الباحث وحفزته إلى الخوض فيها ، سلاحه إخلاص القصد واستفراغ الوسع .

وذلك ما أدى به إلى أن يكون سعيه في دراستها مبنياً على محاور أسئلة القضية المثارة من قبل وفي مباحث ثلاثة بعد مقدمة وانتهاء بخاتمة تلخص البحث وتعرض نتائجه وتوصياته .

وبعد فالثناء على الله جل جلاله الذي وجه لمعالجة هذه القضية وأعان على المعالجة ووفق فيها فهو سبحانه أهل الثناء وأهل الحمد ، وهو المسئول أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يغفر الزلات ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المحور الأول

محور التشخيص

وفيه :

١ ـ المقصود بالعلماء في البحث .

٢ ـ طبيعة العلاقة السوية بينهم وبين الناس .

٣ ـ كيف كانت في عصور الإسلام الزاهية ؟

٤ ـ ماذا عليه هذه العلاقة في الوقت الحاضر ؟

٥ ـ ماذا يؤمل أن تكون عليه ؟

وبالله التوفيق ؛ ؛ ؛

أولاً: المقصود بالعلماء في هذا البحث :

معظم من تطرق لتعريف العلماء من الدارسين والباحثين يرىٰ أن العلماء هم أهل العلم الشرعي [١] وإن تفاوتت عباراتهم في التعبير عن هذا المعنىٰ، حيث إن بعضهم قال ذلك صراحة وبعضهم أشار إليه في نطاق بيان حقيقة العلم وأن المقصود به هو العلم الشرعي الموروث عن النبوة [٢].

ويشهد لهذا المعنىٰ نصوص قرآنية كثيرة ونصوص نبوية كشفت عن حقيقة العلماء ومكانتهم وفضلهم وأهميتهم للحياة نكتفي بإيراد بعضها لدلالته علىٰ المعنىٰ مما يغني عن الاستقصاء الكامل لها حرصاً علىٰ صحة المعنىٰ وبعداً عن الإطالة .

وتلك النصوص هي : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣]، وقوله جل جلاله : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [٤]، وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [٥]، وقوله جل جلاله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٦]، وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ

---

(١) انظر : فضل علم السلف ، ابن رجب الحنبلي ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، وانظر : الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ١٥ ، ومنهاج السنة له أيضاً ٢/ ٩١ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٧ ، وانظر : من قضايا الصحوة ، ص ٧٧ ، وانظر : قواعد التعامل مع العلماء ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، وانظر : الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب ، ص ٦٥ ، وانظر : العلماء هم الدعاة ، د. ناصر العقل ، دار الراية ، ط١ عام ١٤١٢هـ ، ص ٤ ـ ٩ ، وانظر : الخطاب الشرعي، طرق استثماره ، ص ٣٤ .

(٢) انظر : المراجع السابقة ، المدارك نفسها .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية: ١١ .

(٥) سورة الزمر ، الآية: ٩ .

(٦) سورة فاطر ، الآية: ٢٨ .

لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ (١) ، وقوله جل جلاله : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (٢) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (٣) ، تلك بعض نصوص القرآن التي تشهد لصحة المعنىٰ السابق وهو أن المراد بالعلماء إنما هم علماء الشريعة ، أما نصوص السنة فمنها قوله ﷺ : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(٤) .

وقوله ﷺ : « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين إنما أنا قاسم ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله** » (٥) ، وقوله ﷺ : « **إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة** » (٦) ، وقوله ﷺ : « **العلماء ورثة الأنبياء، وإن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر** »(٧) ، وقوله ﷺ : « **تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم**»(٨) ، وحديث : « **فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** » (٩) وحديث : «**من خرج في**

(١) سورة القصص، الآية : ٨٠ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .
(٣) سورة النساء، الآية : ٥٩ .
(٤) البخاري، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم .
(٥) الحديث متفق عليه .
(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٥٧ ، لكن الهيثم في مجمع الزوائد ١ / ١٢١ ، ذكر أن فيه رشيد بن سعد وهو مختلف في الاحتجاج به ، وأبا حفص صاحب أنس وهو مجهول .
(٧) رواه أبو داود ورواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٦٩٤ .
وأخرجه أبو داود .
(٨) رواه أبو داود في كتاب العلم .
(٩) أخرجه ابن ماجه في المقدمة والترمذي في العلم .

طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (١) .

وهي نصوص كما ترىٰ دالة علىٰ صحة المعنىٰ السابق ولا خير بعد إيراد نصوص القرآن والسنة المؤيدة لرأي كثير من العلماء فيما يتعلق بكون المقصود بهم علماء الشريعة ذكر بعض تلك الأقوال بنصها بعد الإشارة إليها إجمالاً حتى يكون هذا المعنىٰ في غاية الوضوح والظهور والبيان، قال الأوزاعي : « العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ، فما كان غير ذلك فليس بعلم » (٢) ، وكذا قال الإمام أحمد(٣) ، وقال الأوزاعي في التابعين : « أنت مخير يعني مخير في كتابته وتركه وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدىٰ بهم إلىٰ زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ، وليكن الإنسان علىٰ حذر ممن بعدهم » (٤) ، وقال الشاطبي : «فعلىٰ كل تقدير لا يتبع أحد من العلماء إلا من حيث هو متوجه نحو الشريعة ، قائم بحجتها ، حاكم بأحكامها جملة وتفصيلاً ، وأنه متىٰ وجد متوجهاً غير تلك الوجهة لم يكن حاكماً ولا استقام أن يكون مقتدي به فيما حاد فيه عن صوب الشريعة البتة »(٥) ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فأصل علم الأنبياء وعملهم هو العلم بالله والعمل لله » (٦) ، وقال في بيان مسئولية العلماء مما يؤكد ذهابه للمعنىٰ الذي نورد أقوال العلماء في نطاقه : « فإذا ضيعوا حفظ علم الدين وتبليغه للناس فإن ذلك من أعظم الظلم للناس وتبليغ الدين قولاً وعملاً ، والدعوة إليه واجب في حق العلماء خصوصاً لأنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته» (٧) ، وقد فسر البخاري رحمه الله الجماعة بأهل العلم فقال في الجامع

(١) أخرجه الترمذي في العلم .
(٢) فضل علم السلف ، ص ٣٠ ، مرجع سابق .
(٣) المرجع السابق ، المدرك نفسه .
(٤) فضل علم السلف ، ص ٣٠ ، مرجع سابق .
(٥) انظر : قواعد التعامل مع العلماء ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، مرجع سابق .
(٦) الفتاوىٰ ٢ / ١٥ .
(٧) نقلاً عن منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله ، ص ٥١٧ .

الصحيح: « باب (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم »[١] ، وقال ابن حجر: « معروف أن المراد بالوصف المذكور أهل العلم الشرعي »[٢] وعلى هذا فالعلماء المقصود بهم العاملون بشرع الله والمتفقهون في الدين، والعاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، على سنة رسول الله ﷺ، وسلف الأمة، الداعون إلى الله بالحكمة التي وهبهم الله إياها: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ والحكمة: العلم والفقه [٣] .

وهم بهذا التعريف هم الدعاة بداهة، وهم ورثة الأنبياء والأنبياء هم الدعاة، وهم حجة الله في أرضه، وأهل الحل والعقد، وأهل الشورى، وأهل الذكر، المؤتمنون على مصالح العباد، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فهم أفضل الناس وأزكى الناس، وشهداء الله، وهم المتميزون بالخصال السابقة [٤] وهم معروفون بعلمهم ورسوخ أقدامهم في مواطن الشبه، وبجهادهم ودعوتهم إلى الله، وبذل الأوقات والجهود في سبيل الله، وهم معروفون بنسكهم وخشيتهم لله، واستعلائهم على الدنيا وحطامها، وحظوظها [٥] .

وهم « من له في الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد من جماهير أجناس الأمة فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى » [٦] .

قال أحمد عز الدين البيانوني: « في الأمة صنف من العلماء طلبوا العلم لله وسلكوا سبيل الاستقامة فعملوا بما علموا فنور الله تعالى بصائرهم بالعلم وأنطق ألسنتهم بالحق، وجعلهم مصابيح الهدى ودعاة الرشاد » [٧] والإسلام لا يقوم

(١) فتح الباري ١٣/ ٣١٦ .
(٢) المرجع نفسه ، والمدرك نفسه .
(٣) انظر: من قضايا الصحوة، ص ٧٦_٧٨ ، مرجع سابق .
(٤) انظر: المرجع السابق ، المدرك نفسه .
(٥) انظر: قواعد التعامل مع العلماء، ص ٢٥ ، مرجع سابق .
(٦) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٤٣ .
(٧) الدعوة إلى الإسلام وأركانها ، دار السلام ، ط ٢ ، عام ١٤٠٥هـ ، ص ٩٤ .

صرحه إلا على كواهل هؤلاء الرجال الذين صغرت في عيونهم الدنيا فلم تفتنهم شهوات ولا مغريات ولا مطامع لمعرفتهم بالله حقاً وإقبالهم عليه بقلوب صادقة وأعمال صالحة [١] : « وإنما العلماء أهل الأثر والفقه يتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم » [٢] .

« فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد » [٣] .

« وقد تبين مما سبق أن العبرة في وصف العالم بالعلم ما يحويه صدره من العلم بالله وعن الله عز وجل، وما اتصف به من تقوى الله وخشيته » [٤] وهذا في الحقيقة هو بيت القصيد، فالعلم الذي يورث صاحبه خشية الله كائناً ما كان نوعه يؤهل صاحبه لأن يكون في زمرة العلماء، وهذا ما تشهد له آية فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٥] ، أي العلماء به الذين عرفوه بصفاته فعظموه، ومن ازداد علماً به ازداد منه خوفاً، ومن كان علمه به أقل كان آمن وقد جاء: « **أعلمكم بالله أشدكم له خشية** » وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم [٦] ، قال الماوردي في تفسيره: «يعني بالعلماء الذين يخافون » [٧] ذلك أن خشية الله تورث صاحبها الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه، ومن ثم فإن أهل خشية الله هم أهل كرامته [٨] .

(١) انظر: المرجع السابق ، ص ٢٣ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٧ .
(٣) بيان فضل علم السلف على علم الخلف ، ص ٥٧_٥٨ .
(٤) قواعد التعامل مع العلماء، ص ٣٨ ، مرجع سابق .
(٥) سورة فاطر ، الآية: ٢٨ .
(٦) انظر تفسير النسفي ، دار الكتاب العربي ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ .
(٧) النكت والعيون ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ص ٤ ، ص ٤٧١ .
(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ٦ ، ص ٣١٧ .

ولعل سعة مدلول العلماء بالصورة التي وردت في آية فاطر بتذيل الآية بقوله جل جلاله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بعد ذكر أصناف المعارف التي تشيع في الحياة اليوم مما يتفق مع ضرورة تأسيس الحياة في جوانبها المختلفة على العلم، ويتفق كذلك مع مكانة العلم عند المسلمين وانتسابه إلى فرض عين وفرض كفاية حتى تستوعب كافة أنشطة الحياة، وهو أيضاً ما يؤكد أهمية تعدد التخصصات العلمية المختلفة، ويضفي المكانة الطبيعية على العلماء في صنوف المعرفة شريطة أن تكسبهم معرفتهم خشية الله، فـ «كل من علم أو وجه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم فهو داع إلى الهدى، وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله تعالى، أو بحقوق الخلق العامة والخاصة فهو داع إلى الهدى، وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوسل بها إلى الدين، فهو داع إلى الهدى، وكل محسن في علمه أو عمله فاقتدى به غيره داع إلى الهدى»(١) فالاقتداء يصح بمن علم أنه عالم(٢) على أن الأولى بالتقديم في استحقاق وصف العلماء إنما هم العلماء بشرع الله حيث لا ينصرف الوصف عند الإطلاق إلا لهم.

ثانياً: طبيعة العلاقة السوية بينهم وبين الناس:

أصل هذه العلاقة هو حاجة الناس إلى العلم فالعلم أمام العمل، والعمل تابع له(٣)، وهذا الفهم الدقيق لمنزلة العلم هو الذي جعل البخاري رحمه الله يقول: «باب العلم قبل القول والعمل»(٤) فدل ذلك على أن رتبة العلم متقدمة على رتبة العمل، إذ العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا وزن لهما من غيره، ولا يعتبران إلا به، وهو مصحح للنية المصححة للعمل(٥).

---

(١) الشيخ عبد الرحمن السعدي، بهجة قلوب الأبرار، ص ٢٥-٢٦.
(٢) انظر تفسير البيضاوي ١/ ٢٨٦.
(٣) انظر: الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، جـ١، ص ٩٧، مرجع سابق.
(٤) البخاري ١/ ١٥٩.
(٥) انظر: فتح الباري ١/ ١٦٠، وانظر: حاشية الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ص ١٥، وانظرك تفسير الشيخ السعدي، ١/ ٢٨، مرجع سابق.

فالمهتدون من الناس يريدون أن تصح عبادتهم لتقبل عند الله، ولا سبيل إلى ذلك خارج نطاق العلم، لأنه هو الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، ومن ثم كان معلم الناس الخير هو من يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء بسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح دينهم ودنياهم(١).

وعلى هذا فعماد الناس على العلماء في الفقه والعلم، وأمور الدين والدنيا، وعلى أقوالهم تدور الفتيا بين الأنام حيث خصروا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، وهم أئمة الدين وورثة الأنبياء، ورثوا عنهم العلم، حملوه في صدورهم واصطبغت به أعمالهم، فكانوا بذلك هداة الناس ودعاتهم إلى الخير، واستحقوا أن يكونوا رأس الجماعة(٢).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «المتقون سادة والعلماء قادة»(٣) ذلك بأن العلماء بالله وأمره ونهيه بهم الحياة، إذ أن حاجة القلب إلى العلم أعظم من حاجة النفس إلى الهواء والماء(٤). ومن ثم فإن تأثير أهل العلم في الناس كبير فهم يباشرون القلوب بأمرهم، ويحركون النفوس ويهزون المشاعر، وكلامهم يصح به الباطن، وصلاح القلب أهم من صلاح البدن، بل إن صلاح البدن إنما يكون بصلاح القلب كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، فتأثير أهل العلم تأثير كامل في الزمان والمكان والأعيان(٥) لذلك فإن العلماء بشرع الله هم الذين تقر لهم الأمة بالأمانة في الدين والعلم والاهتداء» وهم حراس دين الله بالعلم والهدي والعمل

---

(١) انظر: تفسير الشيخ السعدي ١/ ١٨٦، وتفسير البغوي ١/ ١٣٤، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٠٠.
(٢) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء، ص ١٩-٢٣، مرجع سابق.
(٣) النكت والعيون، ٤/ ٤٧١، مرجع سابق.
(٤) انظر: إصلاح القلوب، عبد الهادي حسن وهبي، مكتبة الدليل، ط١، عام ١٤١٦هـ، ص٧٧.
(٥) انظر: محاضرات الموسم الثقافي لعامي ١٤٠٦هـ، ١٤٠٧، مركز الملك فيصل، سلسلة النشاط الثقافي (٢) ص ١٤، ١٥.

والذب عنه والذود عن حياضه [1] .

وهذه المنزلة في الدين هي التي بوأت العلماء مكان الصدارة في حياة الناس، وحددت معالم العلاقة السوية بينهم فهم هداة مهتدون، وأدلاء للناس على أحكام الله، وهذا اعتبار شرعي يفضي إلى الطاعة باعتبارها طاعة لله ورسوله ولولاهم ما عرف لناس كيف يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم فهم كالغيث، وليس للناس عوض عنهم، ولولا العلم الذي يحملون لفسد عمل الناس، وعلامة هلاك الناس هلاك علمائهم إذ بذهابهم يعملون بالجهل ويدينون بغير الحق ويضلون عن سواء السبيل كما أخبر بذلك الصادق المصدوق فنجاة الناس في الحقيقة مرتبطة بهم [2] :

« فهم عطر المجتمع وماؤه، ورواؤه، وبهم فخره، واعتزازه، وعلى مقدار وفرتهم وسموهم يكون عزه وفخاره وصلاحه » [3] ذلك أن الإيمان الصحيح والعمل الصالح هو قوام النجاح في الدنيا والآخرة، وسبيل ذلك هو العلم، وطريقه العلماء [4] يقول الإمام الشافعي رحمه الله: « فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً ووفقه الله للقول والعمل بما علم فيه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه وانتفت عنه الريب، ونورت في قلبه الحكمة واستوجب في الدين موضع الإمامة » [5] .

وهذه هي العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الناس والعلماء وهي ترتب على الناس موالاة العلماء ومحبتهم واحترامهم وتقديرهم والأخذ عنهم والسعي إليهم، والثقة بهم والرجوع إليهم، والصدور عن رأيهم، والاستجابة لهم وحسن الأدب معهم، والإشادة بفضلهم، وحماية أعراضهم والذب عنهم، وإحسان

(١) انظر: من قضايا الصحوة، ص ٥١ ـ ٥٤، مرجع سابق.
(٢) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء، ص ٥٧ ـ ٦٢، مرجع سابق.
(٣) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم بكار، دار المسلم بالرياض، ط١، عام ١٤١٧هـ، ص ٣٧٩.
(٤) انظر: الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل، د. عبد الله التركي، ص ٣٠.
(٥) الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ص ١٩.

الصلة بهم، والتلقي عنهم [1] .

واحترام العلماء مستقر في النفوس حتى عند غير المسلمين، فقد كشفت دراسة الدكتور عبد الله اللحيدان أن نسبة ٨٠٪ من غير المسلمين في عينة بحثه يرون احترام علماء الدين، فكيف بالمسلمين [2] .

وما ذلك إلا لأنهم أداة صلاح للناس كافة، فالناس بلا علماء في جهالة عمياء تعصف بهم رياح الباطل، فإذا غابوا تسود الفوضى، وتعظم الفتن، وتحل المصائب، فمن كان منهم إخلاصه لله أكبر عظم شأنه عند الناس، وحرصوا على بقائه بينهم، وهابه ذوو السلطان، فوجودهم بالغ الأهمية في حياة الناس يعلمونهم دينهم، ويحرضونهم على التمسك بالأخلاق، ويدفعون الناس إلى تطبيق شرع الله ولا يسمحون بالزيغ عنه، فالحمد لله الذي جعل من يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فما أحسن أثرهم على الناس [3] .

ثالثاً: كيف كانت هذه العلاقة في عصور الإسلام الزاهية؟

من استقرأ تاريخ المسلمين وتتبع صور العلاقة التي كانت قائمة بين عامة المسلمين وعلمائهم أمكنه أن يجزم بأنها كانت على الصورة السوية التي مكنت لدين الله في النفوس، وحققت العزة والسؤدد للمسلمين، ووطدت العلاقة بين العامة والخاصة، ومكنت من إقامة حياة المسلمين على طريق الاستقامة على الطريق السوي (صراط الله) في النيات والأقوال والأعمال [4] وما ذلك إلا لأن

(١) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء، ص ١٢، ١٣، مرجع سابق.
(٢) انظر: دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة والإعلام بالرياض، عام ١٤١٧هـ، ٢/ ٥١٠.
(٣) انظر: مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاروق عبد المجيد حمود السامرائي، مكتبة دار الوفاء، بجدة، ص ١٨٩، ١٩٦.
(٤) انظر: الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل، ص ٣٠، مرجع سابق.

العلماء بعلمهم الزكي وفكرهم الثاقب المواكب لحركة الحياة وتطورات التاريخ قد فهموا رسالتهم على الوجه الصحيح وأدوا أمانة الله عندهم [١] وقاموا بواجباتهم الأساسية في الحياة مثل :

١ ـ البلاغ بالبيان القائم على العلم والقدوة باجتماع صفات الكمال البشري فيهم .

٢ ـ نشر العلم الصحيح بتعليم الناس بالطرق المختلفة وتفرغ كثير منهم لتعليم الناس الخير .

٣ ـ تصحيح تصور الناس عن أنفسهم والكون الذي يحيط بهم، وأفصحوا لهم عن حقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق، وهيأوهم لعبادة الله وحده .

٤ ـ كانوا الأدوات الحقيقية في تمكين الأمة من الاستفادة من الماضي في إحسان الحاضر واستشراف آفاق المستقبل من خلال التبصير والتمثل والإبداع .

٥ ـ أحيوا منهج الصحابة رضوان الله عليهم في تعليم القرآن وحثوا الناس على التأسي بهم في التعامل مع كتاب الله من حيث إحسان التلاوة والتدبر والسعي للفهم الصحيح، ثم التطبيق الدقيق الأمين فرسخوا بذلك التلاحم بين النظرية والتطبيق [٢] .

واتبعوا أساليب مختلفة في إحسان علاقتهم بالناس تمثلت في مخالطة الناس، والتواضع لهم والرأفة بهم، وبيان الحق لهم في غاية الحرص، ورعاية حقوقهم، والدفاع عنهم، وإبلاغ خاصتهم، وكانوا قدوة صالحة لهم في حياتهم الخاصة، وقاوموا البدع والزيغ والانحراف، والطغيان والفساد، وقالوا بالحق وبه كانوا يعدلون، ومن ثم نالوا ثقة الناس وأسلموا لله القياد فكانوا بذلك قادتهم في الإصلاح وسلامة الدين وصلاح الدنيا [٣] .

---

(١) انظر : الإسلام وحركة الحياة ، ص ٥١ .

(٢) انظر : أثر العلم في تصحيح الحياة ، ص ٣ . وانظر : دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض، ١/ ٣٣ـ٣٧، مرجع سابق، وانظر : تفسير الشيخ السعدي، ١/ ٢٧، ٢٩، ٣٠، مرجع سابق.

(٣) انظر : مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٢١٧ ، مرجع سابق.

ولا شك أن العلماء وهم يقومون بذلك كله كانوا يشعرون بأنه يجب عليهم من البيان ما يجب على الأنبياء باعتبارهم ورثة الأنبياء كما يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام [١] .

ومن ثم فلم يكن أمامهم إلا الوفاء بالميثاق الذي أخذه الله عليهم في قوله جل جلاله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [٢] خاصة وأنهم يعلمون علم اليقين أن الرزق محدود وأن الأجل مكتوب، وأنهم إن لم يبينوا استحقوا عقاب الله وسخطه، بحكم إمامتهم في الدين، وظهوره لا يكون إلا بالبيان والقدوة، وذلك ما دلت عليه نصوص الشرع وقواعده، وهو محصلة ما عليه سلف الأمة، باعتبار أن العلماء هم أهل العلم والاستقامة وهم الجماعة وهم المرجع الشرعي للأمة في أمورها الخاصة والعامة، وهم مصابيح الدجى وأزكى الأمة، وما ذلك إلا لوراثتهم النبوة، وحملهم للعلم الذي جاء به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكونهم المصدر الوحيد لتلقي هذا العلم وحجة الله في أرضه، وأهل الفقه في دينه [٣] .

«فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل، وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل فلم يميز هذا من هذا مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم فاختاروا لأنفسهم إحدى الحالتين» [٣] .

إن منهج جمهور علماء السلف في إصلاح المجتمع يقوم على الدعوة بالكلمة الطيبة ونشر العلم، وتزكية النفوس وتهذيبها بالطرق المشروعة، فأثروا بذلك تأثيراً واضحاً في الأمة كلها فالتفت حولهم [٥] كما تصور ذلك المحاورة التالية بين

---

(١) انظر : طبقات الشافعية ٨ / ٢٢٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٧ .

(٣) انظر : من قضايا الصحوة، ص ٥١ـ٥٤ ، مرجع سابق.

(٤) تفسير الشيخ السعدي، ١/ ٨٠، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٣٧ .

(٥) انظر : نحو دعوة إسلامية رشيدة، ص ٢٦٨ـ١٦٩ ، مرجع سابق.

الإمام الزهري وعبد الملك بن مروان عند دخوله عليه بعد قدومه من مكة المكرمة .

« فقال له عبد الملك : من أين قدمت يا زهري ؟ ، قال الزهري : من مكة المكرمة ، قال عبد الملك : فمن خلفت يسود أهلها ؟ ، قال الزهري : عطاء ابن أبي رباح ، قال عبد الملك : فمن العرب هو أم من الموالي ؟ ، قال الزهري : من الموالي ، قال عبد الملك : وبم سادهم ؟ ، قال الزهري : بالديانة والرواية ، قال عبد الملك : إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا قال : فمن يسود أهل اليمن : ، قال الزهري : طاووس بن كيسان ، قال عبد الملك : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال الزهري : من الموالي ، قال عبد الملك : وبم سادهم ؟ ، قال الزهري : بما سادهم به عطاء ، قال عبدالملك : إنه ينبغي ، قال : فمن يسود أهل مصر ؟ ، قال الزهري : يزيد بن أبي حبيب ، قال عبد الملك : فمن العرب أم من الموالي ؟ ، قال الزهري : من الموالي ، قال عبد الملك : فمن يسود أهل الشام ؟ ، قال الزهري : مكحول الدمشقي ، قال عبد الملك : فمن العرب أم من الموالي ؟ ، قال الزهري : من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل ، قال عبد الملك : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ ، قال الزهري : ميمون بن مهران ، قال عبد الملك : فمن العرب أم من الموالي ؟ ، قال الزهري : من الموالي ، قال عبد الملك : فمن يسود أهل خراسان ؟ ، قال الزهري : الضحاك بن مزاحم ، قال عبد الملك : فمن العرب أم من الموالي؟ ، قال الزهري : من الموالي ، قال عبد الملك : فمن يسود أهل البصيرة ؟ ، قال الزهري : الحسن بن أبي الحسن (الحسن البصري) ، قال عبد الملك : فمن العرب أم من الموالي ؟ ، قال الزهري : من الموالي .

فضاق عبد الملك بن مروان من هذه الظاهرة كيف يجتمع الناس حباً وطواعية على الموالي مع ما هم عليه من نكر في النسب ، وقلة في المال ، وبعد عن جهاز الدولة والحكم فقال للزهري : ويلك يا زهري فمن يسود أهل الكوفة ؟ ، قال الزهري : إبراهيم النخعي ، قال عبد الملك : فمن العرب أم من الموالي ؟ ، قال الزهري : من العرب ، قال عبد الملك : ويلك يا زهري فرجت عني ، والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لهم على المنابر والعرب تحتهم ، قال الزهري : يا

أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه من حفظه ساد ومن ضيعه سقط » (١) .

وقد نقلت المحاورة على طولها لدلالتها على ما نحن بصدده من بيان كيفية العلاقة بين العلماء والناس فيما مضى وأنقل بعدها تعليق الدكتور محمد رواس عليها لتأكيده للمعنى الذي اخترتها من أجله حيث يقول : « فنحن نرى فيها جماعة من الموالي ليس لهم نسب يرفعهم ولا مال يدفعهم ، ولا شرف وتقدم سابق ، يعتبرهم الناس الطبقة الثانية أو الثالثة في المجتمع ، عندما أخذوا بهذا الإسلام وأخلصوا في طلبه ، وأخلصوا له ، وأصبحوا من كبار علمائه والمقدمين فيه ، دفعهم الإسلام إلى الصف الأول ، وأحلهم مكانهم فيه وجعل إليهم القيادة الفكرية للجماهير بعد أن أثبتوا جدارتهم بها ، وكفاءتهم لها ، فالتف الناس حولهم ، لأن الناس يطلبون دائماً العلم الصحيح والفكر النير ، والسلوك المستقيم ، والرجل الجاد المخلص » (٢) ، ومعنى ذلك بوضوح أن العلماء ملكوا قلوب الناس بالكلمة الصادقة الصالحة ، فكانوا بذلك نعم الدليل على الله ونعم الهادي إلى سواء الصراط .

« وهؤلاء عرفوا الطريق الذي يجعلهم هم الأحسن ، من عكوف على العلم ، وملازمة للتقوى ، وإخلاص لله في العمل » (٣) .

والعلم الذي أوصل هؤلاء لهذه المنزلة العظيمة في نفوس الناس ، وأساس العلاقة بينهم وبين الناس هو العلم الشرعي ، وأفضله من غير شك فيما يتعلق بتفسير القرآن ومعاني الحديث والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم وما وجد في كلام من بعدهم من حق فهو في كلامهم بأوجز لفظ وأخصر عبارة وينبغي أن يستقر في الذهن أنه ليس كل من كثر كلامه في العلم يكون أعلم ممن

---

(١) هذا النص منقول من حديث الروح ، وذكر الرواس في بدئه أنه نقله من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣) حديث الروح ، ص ١٨ ، مرجع سابق .

ليس كذلك (١) كما ينبغي أن يعلم أن كثرة العلماء من أسباب عصمة الأمة من الخطأ، يقول ابن تيمية في تأكيد هذا المعنى: «الله تعالى قد ضمن العصمة للأمة، فمن تمام العصمة أن يجعل عدداً من العلماء إذا أخطأ الواحد في شيء كان الآخر قد أصاب فيه، حتى لا يضيع الحق، والعصمة في الحفظ والبلاغ ثابتة لكل طائفة بحسب ما حملته من الشرع الحنيف، فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدثون معصومون في حفظ الحديث وتبليغه، والفقهاء معصومون في فهم الكلام والاستدلال في الأحكام» (٢)، وقال ابن قيم الجوزية معقباً على حديث: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر» قال: «إن الأمة معصومة فيما تواطأت من روايتها ورؤياها»(٣) ومحل الشاهد في النص هو قوله من روايتها حيث إن طريق ذلك هو العلماء.

وعلى هذا فالعلماء هم الذين يلون حفظ الشريعة وما يجوز وما لا يجوز، وهم في الجملة عدول مرضيون موثوق بدينهم وأمانتهم فيما يؤدون إلى الناس، وهم مع أنهم بالمنزلة العلية السابقة، وأدلاء على الحق، فليس لهم قداسة في ذواتهم، وهم كأفراد ليسوا معصومين من الخطأ، وطاعتهم إنما تجب باعتبارهم طريق طاعة الله ورسوله (٤).

وإذا كانت تلك هي علاقة العلماء بالناس فإنهم أيضاً كانوا مقبولين من الحكام بسبب إخلاصهم وبعدهم عن الهوى والغرض، وقد تعددت صور علاقتهم، لكن في مقدمة تلك الصور علاقة التعاون والمشاركة والنصح مع أنه قد وجدت بعض نماذج من الاعتزال والمشاكسة، ومع ذلك فإن الجانب الإيجابي في هذه العلاقة كان هو الظاهر البارز، وتمثل في تأييد الحكام الشرعيين ومناصرتهم والحث

---

(١) انظر: فضل علم السلف، ص ٢٨ ـ ٣٠، مرجع سابق.

(٢) منهاج السنة ٢ / ٩١.

(٣) إعلام الموقعين ١ / ٨٤.

(٤) انظر: قواعد التعامل مع العلماء، ص ٤٣ ـ ٤٦، مرجع سابق. وانظر: مجلة الرابطة، العدد ٣٨٥، ذو القعدة ١٤١٧هـ، ص٩، مقال للدكتور عبد الله التركي بعنوان «الطائفة المنصورة».

على طاعتهم في حدود طاعة الله ورسوله، وتعددت أساليبهم في النصح والتوجيه، كما كانت لكثير من الحكام مواقف من العلماء كشفت عن حسن العلاقة بينهم كالتقدير والتقريب، والبحث عنهم والاستماع منهم حيث كان العلماء لا يبخلون بالتوجيه والنصح والمشورة والكشف عن الأخطاء والوقوف في وجهها فكانوا بذلك شركاء للحكام في إدارة شئون الأمة وذوي أثر بالغ على الحكام في اتخاذ القرارات وتحديد المواقف» (١).

وما ذلك إلا لأن صلاح المجتمع إنما يكون بصلاح الولاة والعلماء والتقاؤهم وتعاونهم فيما يحقق ذلك، فالحاكم قد يغفل فيحتاج إلى من يعظه ويذكره، والعالم الداعية يحتاج إلى سلطان يعينه ويؤازره (٢) وما العلاقة الحميمة بين الإمامين الجليلين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود عنا ببعيدة حيث أثمرت كياناً عظيماً أبقى الله به عقيدة التوحيد نقية صافية، ومكن الله به للإسلام في أرجاء المعمورة وأقر الله به أعين المسلمين في كل مكان حيث كان سندهم بعد الله (٣).

وقد لمعت في تاريخ المسلمين أسماء لعلماء كبار مثل مالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن شهاب والزهري، وعطاء بن أبي رباح، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، وسلمة بن دينار، وطاووس بن كيسان، وبشر بن الحارث، وسعيد بن المسيب، والربيع بن خثيم،

---

(١) هذه خلاصة مستفادة من مخطط بحث عبد الله بن عبد الرحمن الخرعان للتسجيل للدكتوراه في التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية واعتمد فيها على منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم د. يحيى إسماعيل، الوفاء للطبعة والنشر، وتاريخ القضاء في الدولة الأموية، محمد بن عبد الله الغنام، كلية أصول الدين بجامعة الإمام، والعلماء بين الحرب والسياسة في البعد الدعوي د. حامد زيان غانم، والإسلام بين العلماء والحكام لعبد العزيز البدري، وورثة الأنبياء أو رسالة العلماء، عبد الوهاب فهمي، وعلماء الإسلام ومواقفهم، محمد سليمان.

(٢) انظر نحو دعوة إسلامية رشيدة، ص ١٧، مرجع سابق.

(٣) انظر: مجموعة فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز ١ / ٣٨٣.

والشعبي، وسليمان بن مهران، وسفيان الثوري، وصلة بن أشيم، وسواهم كثير كانت وظيفتهم في القرون الثلاثة الهجرية الأولى في المجتمع المسلم الذي عاشوا فيه هو إصلاح الأمة في عقيدتها وأخلاقها ومعرفتها، حيث عمرت مجالس التفسير والحديث والفقه، وكثرت محاورة أصحاب الشبه لرد ضلالاتهم وشبهاتهم في نحورهم، مع إصلاح النفوس وتهذيبها، والدعوة إلى الله جهاداً وتجارة، مع تولي ولايات القضاء والإفتاء والتدريس إعانة للولاة والخلفاء على القيام بواجبهم تجاه الأمة، وهم بعملهم ذلك كانوا يحافظون على جماعة المسلمين ووحدة الأمة من خلال العمل العلمي والدعوي الدؤوب الذي يحيي القلوب ويحقق الاستقامة ويرسخ في الأمة أسباب الطاعة لولاة أمورها في المعروف والصبر عليهم والدعاء لهم بالهداية والصلاح [1] فمثلوا بذلك سبل أداة إصلاح الحكم وأصله الأول حيث يتطلب ذلك فقهاء أتقياء أذكياء [2]؛ ذلك أن قضية الإصلاح من أكبر قضايا الحياة البشرية التي كانت موضع اهتمام الأنبياء بعد الدعوة إلى الإيمان بالله، والعلماء ورثتهم، فلا غرو أن كانت قضية الإصلاح في نطاق اهتمامهم بالشأن العام [3].

ذلك أن العلماء دعاة بألسنتهم، وأصحاب السلطان دعاة بألسنتهم وسلطانهم، وباتفاق العلماء وأصحاب السلطان وتعاونهم في الخير يصح أمر العباد [4].

وقد نسب إلى مالك قوله: «حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره

(١) انظر: نحو دعوة إسلامية رشيدة، ص٢٤٢ـ٢٤٣، مرجع سابق. وانظر: نبذة مفيدة في حقوق ولاة الأمر، د. عبد العزيز العسكر، ص ٤ ـ ٢٦.

(٢) انظر: ضوء على تفكيرنا الديني في مطالع القرن الخامس عشر الهجري، محمد الغزالي، دار الاعتصام، ط ١، عام ١٤٠١هـ، ص ١٧.

(٣) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ٣١٥، مرجع سابق.

(٤) انظر: مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٨٤، مرجع سابق.

شيئاً من العلم والفقه أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير، وينهاه عن الشر ويعظه» [1].

ولعمر الله إن هذا لهو الفضل الذي ليس بعده فضل، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» [2]، وقال سيد الشهداء حمزة: «ورجل قام إلى سلطان جائر فنهاه فقتله» [3]، وحديث عبادة بن الصامت قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة.. إلى أن قال وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**» [4].

ولعله لدقة الأمر وحساسيته وضرورة التقيد بالسنة، رأينا الدعوة الملحة إلى ضرورة إحسان الصلة بين العلماء والأمراء من خلال ما سبق بيانه من مناهج علمائنا في التعامل مع الحكام الشرعيين مع ما هناك من مقولات وتأصيلات فقهية حول حدود الطاعة الواجبة لولي الأمر [5].

وما ذلك إلا لأن الأمة تشترك مع علمائها وحكامها في القيام بأمر الله تعالى والتمكين لدينه في الأرض ونشر أعلام الهداية في العالمين [6].

وليس معنى ما ذكر أنه لم تكن هناك في تاريخ الأمة حالات تخرج فيها العلاقة بين العلماء والحكام عن الحالة السوية عندما يشعر فيها العلماء بمسئولية اقتداء الناس بهم، وخاصة في المواقف العظمى كفتنة القول بخلق القرآن حيث جسد حقيقة موقف العلماء المناسب الإمام أحمد رحمه الله وآزره إخوة له أسدوا إليه النصح بالثبات من أمثال أبي جعفر الأنباري الذي عبر الفرات لتثبيت الإمام

(١) المرجع السابق، المدرك نفسه.

(٢) رواه الترمذي من حديث أبي أمامه وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه الحاكم من حديث جابر وقال عنه صحيح ٣/ ١٩٥.

(٤) الحديث أخرجه مسلم.

(٥) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ٢٤٩، مرجع سابق.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥١.

أحمد بقوله له : « يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن كثير من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فأنت تموت ولا بد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء » فجعل أحمد يبكي ويقول ما شاء الله ، ما شاء الله (١) .

ومثل هذا النصح والتثبيت كان هو ديدن العلماء الربانيين لإخوانهم من العلماء إن تعرضوا لفتنة أو خافوا عليهم انحرافاً (٢) .

ومعنى ذلك أن قضية صلاح الحياة مرهونة بوجود الولاة الصالحين والعلماء والدعاة التقاة الصالحين كذلك ، وقد جاء في الأثر صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس (٣) .

ولعله لهذا المعنى نص بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (٤) أن أولي الأمر من المسلمين هم العلماء والأمراء ، وهم أصحاب الأمر وذووه ، وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة ، وأهل العلم ، ومرد طاعة الأمراء إلى طاعة العلماء بمقتضى العلم ، لأن طاعتهم عندئذ طاعة لرسول الله ﷺ (٥) .

ولهذا قال ابن قيم الجوزية : « إن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء ، فإن الطاعة إنما تكون في معروف ، وما أوجبه العلم ، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء » (٦) .

---

(١) انظر : مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ، ص ٢٤٠ ، مرجع سابق .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٤١ ، وانظر : مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٢٦٤ ، مرجع سابق ، وانظر : فتح الباري ، ١٣/ ٤٨ ـ ٥٣ .
(٣) انظر : نحو دعوة إسلامية رشيدة ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، مرجع سابق .
(٤) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .
(٥) انظر : قواعد في التعامل مع العلماء ، ص ٤٣ ـ ٤٦ ، مرجع سابق .
(٦) إعلام الموقعين ١ / ١٠ نقلاً عن طاعة أولي الأمر للدكتور عبد الله الطريقي ، ص ٢١ .

وقد سجل التاريخ بسطور من نور مواقف عديدة لعلمائنا الأفاضل ضربوا فيها أروع الأمثلة في الصمود في وجه الباطل والطغيان صيانة للحق وحفاظاً على مكانة العلم والعلماء تعرضوا فيها لصنوف من الأذى احتسبوها عند الله جل جلاله فنالوا بذلك لسان صدق عليا (١) .

وما محنة سعيد بن جبير عنا ببعيدة حيث تجلت فيها قدرة العلماء على الصدع بالحق ، والثبات على المبدأ ، والاستعلاء بالإيمان وتنوعت فيها أساليب صرف العلماء عن الصدع بالحق (٢) .

وقد عبر الإمام الذهبي عن إعجابه بمواقف صبر العلماء وثباتهم في ثنائه على موقف الأوزاعي أمام عبد الله بن علي حيث قال : « كان عبد الله بن علي ملكاً جباراً سفاكاً للدماء ، صلب المراس ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى ، لا كخلق من علماء السوء الذين يحسنون للأمراء ما يقتحمون به الظلم والعسف ، ويقلبون لهم الباطل حقاً ـ قاتلهم الله ـ أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق » (٣) .

وفي ختام معالجة هذه القضية الحساسة نورد تعليق الدكتور محمد رواس قلعجي على محاورة أبي حازم لسليمان بن عبد الملك باعتبارها من أمثل النصح لإحسان صلة العلماء بالولاة والخلفاء ، وذلك حيث يقول : «وانصرف أبو حازم وهو يقول في نفسه لو أن الأمراء قربوا الناصحين من العلماء الدالين لهم على عيوبهم وأبعدوا المداهنين المزينين لهم أعمالهم ما ضل أمير » (٤) وندعو الذين يرغبون في الاستزادة من صدق لهجة الموعظة وحسنها وشدة تأثيرها وأسرها لمن أسديت إليه أن يقرأوا المحاورة كاملة في المرجع المذكور ، علها تعين الفريقين على

---

(١) انظر : مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، مرجع سابق ، وانظر : الرأي العام في عهد النبوة والخلفاء الأربعة ، ص ٣٨١ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١١٣ ، ١١٤ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٧ / ١٢٥ .
(٤) حديث الروح ، ص ٢٣ ، مرجع سابق .

إحسان التعاون على البر والتقوى .

رابعاً: ماذا عليه هذه العلاقة في الوقت الحاضر ؟

من يدقق النظر في حياة المسلمين بيسير من التأمل والعمق ، يدرك في جلاء أن علاقة الناس اليوم بالعلماء لم تعد على الصورة السوية التي جليناها فيما مضى (١) .

وليس ذلك من باب المبالغة ولا المجازفة، ولكنه الواقع الذي لا يخفى على ذي لب وذي عين، فلم يعد الحب والصفاء والمودة والاحترام والتقدير واعتبار أقوال العلماء هو الطابع الغالب على هذه العلاقة كما كان عليه الحال أيام السلف بل ساد في حياة الناس إعراض عن العلماء، وسوء ظن بهم، ومناوءتهم، بل وتحقيرهم عياذاً بالله وطعن فيهم تنفيراً للناس منهم حتى أصبح المثل الأعلى للناس اليوم أقوام آخرون لا يملكون صفة من صفات القدوة الحسنة مما هيأ الفرصة لظهور أنماط من السلوك في حياة المسلمين غير مرغوب فيها (٢) .

وصور اختلال هذه العلاقة عديدة ومتنوعة، ولكن أخطرها في نظري هو بروز قيادات ليس لها من العلم الشرعي ما يؤهلها لتولي قيادة العمل الدعوي الإسلامي، كما هو الملحظ الرئيسي على الصحوة الإسلامية التي تعم أرجاء المعمورة اليوم بحمد الله لما ترتب عليه من أضرار جسيمة في صنوف الصحوة بسبب عدم ضبطها ووزن حركتها وزناً شرعياً، إذ الحماسة وحدها لا تكفي، بل لا بد أن يكون العمل خالصاً لله صواباً على وفق ما جاء به الرسول ﷺ (٣) .

---

(١) انظر : ما كتب تحت عنوان كيف كانت هذه العلاقة في عصور الأمة الزاهية ، ص ٣٨ ـ ٥٧ .

(٢) انظر : قواعد التعامل مع العلماء، ص ٩ ، ١٠ ، من هذا البحث ، مرجع سابق . وانظر : فضائل الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله، ص ٦٥ ، وانظر : قضية وحوار (العنف في العمل الإسلامي المعاصر ـ قراءة شرعية ورؤية واقعية) ، ص ٢٧ ، وانظر : مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه، ص ١٠٦ .

(٣) انظر : العلماء هم الدعاة ، ص ٢٦ ـ ٢٩ ، مرجع سابق ؛ وانظر : التصفية والتربية وأثرها في استئناف الحياة الإسلامية، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد ، ص ٨٥ ـ ٨٦ ، ٨٨ ـ ٨٩ ، وانظر : مجلة الأصالة، العدد الأول ١٤١٣هـ، ص ٣ .

وتفاقم الخلل في هذه العلاقة حتى إن بعض الناس قد يرى أنه أصبح ظاهرة يصفها بأنها في الحقيقة نوع من القطيعة بين العلماء والناس، وتعددت مظاهر هذه الظاهرة مما جعلنا في هذا البحث نفرد لها محوراً كاملاً (١) نبين من خلاله العوامل والأسباب التي أدت إلى نشوئها، والمظاهر التي تدل على وجودها، والآثار التي ترتبت عليها في حياة المسلمين، سائلين الله التوفيق والسداد .

خامساً: ماذا يؤمل أن تكون عليه ؟

لم يجر البحث في الحقيقة إلا للكشف عن هذا المعنى أو بمعنى آخر لم يجر إلا محاولة لإحسان الصلة بالعلماء، أو إعادة العلاقة السوية بينهم وبين الناس كما بينا في بداية حديثنا عن تلك العلاقة، وذلك ما جعلنا أيضاً نخصص لها محوراً كاملاً في هذا البحث (٢) هو لبه، وهو ما نرجو أن يكون سبيلاً لإعادة بناء الجسور بين العلماء والناس عموماً وخصوصاً دفعاً لشرور عظيمة قد تنجم عن استفحال ظاهرة القطيعة، وجلباً لمنافع كثيرة من جراء العمل بما يتوصل له البحث من حلول نرجو أن تكون سبيلاً قوياً للقضاء عليها، وسبيلاً لتصحيح حركة حياة المسلمين بما يضمن تحقيقهم لغاية وجودهم عبادة الله على الوجه الذي يرضي الله عن طريق تأسيسها على العلم الصحيح بإعادة اعتبار العلماء وتمكينهم من تحميل مسئولياتهم العلمية تجاه تصحيح مسار حياة المسلمين على نور من الله وطمعاً في مثوبته، وخوفاً من سخطه وأليم عقابه (٣) .

---

(١) هو المحور الثاني .

(٢) هو المحور الثالث .

(٢) انظر : الرأي العام في ضوء الإسلام ، ص ١٨٨ ، وانظر : المحور الثالث من هذا البحث ، ص ٩٥ ـ ١١٨ .

المحور الثاني

مظاهر اختلال العلاقة بين العلماء والناس

وفيه :

١ ـ العوامل والأسباب التي أدت إلى الاختلال .

٢ ـ نماذج من مظاهر الاختلال .

٣ ـ الآثار المترتبة على الاختلال .

أولاً: العوامل والأسباب التي أدت إلى اختلال العلاقة :

من خلال تعمق هذه الظاهرة، ومحاولة الغوص وراء عوامل ظهورها والأسباب التي أدت إلي وجودها، ومن خلال ملاحظة حركة حياة المسلمين وتفاصيل دقائقها في جوانبها المختلفة أمكن حصر تلك العوامل والأسباب في أربعة أمور، ما يعود للعلماء أنفسهم، وما يعود للناس، وما يعود للحكومات في العالم الإسلامي وما يعود لظروف العصر، مما نفصله فيما بعد بما يعني أن من تلك العوامل والأسباب ما هو داخلي وذاتي ومنها ما هو خارجي فرضته ظروف العصر وأحواله المتقلبة المتغيرة [1] .

أما الأسباب الذاتية أو الداخلية فأبرزها في نظري ما يلي :

١ ـ ما يعود للعلماء أنفسهم :

العوامل والأسباب التي تعود للعلماء أنفسهم كثيرة ومتشعبة منها على سبيل المثال لا الحصر الزهد في الحياة جملة وتفصيلاً لهوانها عليهم مقارنة بالحياة

---

(١) انظر ص ١ من الورقة المقدمة حول قضية البحث لملتقى علماء غرب أفريقيا في نواكشوط من كاتب البحث في ٢٣ـ٢٦/١/١٤١٣هـ.

الأخرىٰ، وهو أمر ظاهر وكثير في الصالحين، مع أنه في الحقيقة لا ينبغي أن يكون سبباً في نشوء هذه الظاهرة لا من جهة العالم الزاهد ولا من جهة الناس، فالزهد الحقيقي في الدنيا لا يعني ترك الحياة وعدم الاهتمام بها، بل ينبغي أن يكون دافعاً للعالم لتحقيق المكاسب الأخروية التي يسعىٰ لها باعتبار أن الدنيا هي مزرعة الآخرة وأن الفهم الصحيح لها يؤدي إلىٰ إحسان العمل بقول الله جل جلاله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١)، وقوله جل جلاله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ .

ففهم النصين الكريمين علىٰ الوجه الصحيح ينبغي أن يكون أداة حقيقية لحث العالم علىٰ الاهتمام بإصلاح الحياة وترقيتها، وفي مقدمة ذلك إحسان الصلة بالناس براً بهم ورحمة ونشراً للعلم ودعوة إلىٰ الحق، وتزكية لنفوس الناس، وهو ما كان علماء السلف يقومون به كما مر بيانه من قبل. وذلك ما يعني من جهة أخرىٰ شدة ارتباط الناس به وحبهم وتقديرهم له ورغبتهم في توثيق صلتهم به (٢) لشدة خشيته لله، وبره بهم وإحسانه إليهم ونصحه لهم، وترفعه عن الدنايا، وقيامه بحق الله في البلاغ والدعوة وذلك لمعرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه ومحابه ومساخطه مما أهله ليكون موضع القدوة الصالحة والنموذج البشري السوي، وفرض علىٰ الناس حق طاعته وحبه وتقديره (٣) .

لكن الواقع في حياة المسلمين جعل صفة الزهد عند العلماء في حياة المسلمين

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) انظر ماجاء تحت عنوان كيف كانت العلاقة بين العلماء والناس في العصور الإسلامية الزاهية من هذا البحث، ص ٣٨ـ٥٧ .

(٣) انظر: قواعد التعامل مع العلماء، ص ٤٨ـ٥٦، مرجع سابق، وانظر: محاضرات الموسم الثقافي لعامي ١٤٠٦هـ، ١٤٠٧هـ، ص ٣٢ـ٣٧، مرجع سابق.

من الأسباب التي أسهمت في وجود الظاهرة المدروسة .

ومن الأسباب التي تعود للعلماء أيضاً هو ما قد يوصف به بعضهم من عدم مواكبة لأحوال العصر وظروفه ومن ثم القصور في الإسهام في حل مشكلات الحياة وعويصاتها المتجددة المتنوعة التي تتطلب إدراكاً حقيقياً لها، وسعياً حثيثاً للتخفيف من وطأتها علىٰ الناس، وخاصة المسلمين الذين يرغبون في أن تكون حركتهم في جوانب الحياة المختلفة مؤسسة علىٰ حكم الله رغبة فيما عند الله وخوفاً من بطشه ونكاله حيث كثرت في الحياة مستجدات كثيرة تحتاج إلىٰ اجتهادات علمائنا الأفاضل لتكييف مواقف الناس منها تكييفاً شرعياً استجابة لتطلعات الناس للحلول الشرعية المثلىٰ لتلك المشكلات، ونزعاً للقيادة من أولئك الذين قلت بضاعتهم في العلم الشرعي ومع ذلك يتصدون لتقديم حلول لتلك المشكلات مما قد يكون فتنة للناس (١) .

وهذا الملحظ في نظري من أهم أسباب نشوء الظاهرة محل الدراسة مع أنه في حقيقة الأمر لا يمكن لعاقل أن ينكر كثرة الجهود التي يبذلها العلماء الأفاضل في مواجهة هذه المستجدات سواء علىٰ المستوىٰ الفردي أو الجمعي علىٰ مستوىٰ هيئات كبار العلماء، والمجامع الفقهية المتخصصة في بلدان المسلمين، إفتاء وتأليفاً إلا أن إيقاع الحياة السريع في عالم اليوم ربما كان السبب وراء ما نسب إلىٰ العلماء من قصور في هذا السبيل، وقد يكون ذلك بسبب قلة العلماء نسبة إلىٰ شدة الحاجة إليهم، أو غير ذلك من الأسباب .

ومن تلك العوامل والأسباب التي تعود للعلماء: ورع العالم وخوفه علىٰ دينه مما يدفعه إلىٰ اعتزال الناس والبعد عن مخالطتهم مع أن من الصفات الأساسية للعلماء الدعاة إحسان الصلة بالآخرين والمهارة في إيجاد أجواء الوئام والألفة

---

(١) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٨٦. وانظر: التصفية والتربية، ص ٨٨ـ٨٩ . وانظر: مجلة الأصالة، العدد الأول، ص ٣ .

والمحبة بين الناس، والقدرة على الموازنة بين العزلة والاختلاط بالناس والصبر على أذاهم، وإنصافهم، وبصره بالناس، وبزمانه وأخذه بالقسط وإرشاد المسترشد، وحسن مخالقته خلطاءه، وتسويته بين قلبه ولسانه، وتحريه العدل، وحسن تبصره بعواقب الأمور وإمساكه عما لا يدرك (١).

وهي كلها صفات لازمة لمن يتصدى لنفع الناس، وإرشادهم وتوجيههم، وليس فيها ما ينافي الورع والحرص على الدين.

وقد يكون من الأسباب التي تعود للعلماء: الجانب المادي في الحياة كالانشغال بتحسين مستوى دخله كغيره من الناس مما يستغرق وقته بحيث لا يبقى فيه متسع يصرفه للقيام بمسئولياته العلمية تجاه الناس أو أن يكونوا قد فتنوا بالدنيا فغرتهم ببريقها وهم غير معصومين كما غرت غيرهم حتى تهاونوا في حق العلم من جنس ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية حيث يقول: « ومن خبر ما بعث الله به رسوله ﷺ، وما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس ديناً، والله المستعان وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطان أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل، وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون وهي موت القلب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل » (٢).

(١) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ١٥٧ ـ ١٦٥، مرجع سابق.
وانظر: الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع، دار الكتاب اللبناني، ط ١، عام ١٤١٤هـ، ص ٤٤، تحقيق ودراسة: د. إنعام نقال.
(٢) إعلام الموقعين ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

وهذه الفئة الموصوفة بالعلم مع قلتها لا يزال يرى بعض الناس وجودها، ويشعر بخطورتها وشدة صلتها بالظاهرة المبحوثة، هذا أحمد عز الدين البيانوني يقول: « في الأمة صنف آخر من العلماء، وصفهم وصف العلم، وعملهم عمل الجاهلين، ضعفوا أمام المغريات من مال ومنصب وجاه، ومالت نفوسهم مع الشهوات، وتعلقت بها قلوبهم، فطلبوها من حلال وحرام، واستحكمت الغفلة منهم، فنسوا كثيراً مما عرفوا وتنكبوا سبيل الاستقامة، وانحرفوا عن سنن التقوى والورع فهلكوا مع الهالكين» (١).

وينبغي أن لا تفزعنا شناعة النصين السابقين بحق من لم يرفعوا رأساً بالعلم الذي منحهم الله، ولم يرعوا حقه ولم يؤدوا أمانته خاصة وأننا نقرأ في كتاب الله أوصافاً لهم أشد مما ذكر: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ (٢).

وقوله جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (٣)، وقوله جل جلاله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (٤)، وقوله جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥).

لكن ما يخفف الأمر على النفوس هو أن هذه الفئة إن وجدت فهي قليلة مع

(١) الدعوة إلى الإسلام وأركانها، ٩٤، مرجع سابق.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٤، ومع أن سياق معظم تلك النصوص ليس في المؤمنين، فإن النكير يشملهم؛ لأن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب كما هو مقرر ومعروف.

أن إسهام وجودها في نشوء الظاهرة المبحوثة كبير حيث تشتد نفرة الناس منها ويعظم في نفوسهم فداحة خطئها إذ أنهم يرون أن من اتصف بالعلم لا يتصور أن يكون بالصورة التي عليها تلك الفئة، وتحميل العلماء الصالحين أوزار الفئة المذكورة بعيد عن الإنصاف والعدل، مجانب للصواب حيث لا تزر وازرة وزر أخرى، لكن ربما كان على العلماء أن يعروا أولئك الذين ينتحلون صفة العلماء، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، ويتعرفوا على حقيقتهم، وزيف ادعائهم العلم .

وربما كان من الأسباب التي قد تعود للعلماء عدم الاهتمام أصلاً بمصالح الناس، وعدم الحرص على التصدر، إما مجازاة للناس على رغبتهم عن العلماء، أو غير ذلك من الأسباب التي جعلت البعض ينفصل عن هموم الناس، ولا يشغل باله كثيراً بمتابعتها (١) .

مع أن التأسي برسول الله ﷺ يفرض عليهم مسلكاً مغايراً لهذا حيث كان ﷺ في غاية الحرص على هداية الناس رحمة بهم وشفقة: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٢) ، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣) ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤) ، ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٥) .

فكان عليهم أن يعطوا القدوة من أنفسهم، خاصة وأنهم يدركون باعتبارهم من قيادات المجتمع الأساسية مبلغ تأثير قادة الرأي في الحياة حيث يفوق تأثير كثير من الأنظمة والقوانين (٦) .

(١) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ١٣٥، مرجع سابق.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٦.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٥) سورة النحل، الآية: ٣٧.
(٦) انظر مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ٦٣، مرجع سابق، وانظر: تزكية النفس، أبو البراء سعد بن محمد، من غير بيانات، ص ٤، من تقديم الدكتور إبراهيم الفايز للكتاب.

لكن ربما كانت مكابدة الحياة ومشاركة الناس في همومهم، وأتراحهم وأفراحهم ليست بالأمر الهين خاصة في حال العلماء الدعاة الذين لا يتوقف دورهم عند مجرد الوعظ والإرشاد، والبيان، بل يتجاوز ذلك إلى الوقوف في وجه نزوات الناس، وشهواتهم، ومطامع الطامعين، وغرور المغرورين المنكرين، وكبرياء المتجبرين، والناس دون ريب يضمون أولئك جميعاً، مما جعل عمل العلماء ليس بالأمر اليسير الهين، بل إنه عمل مضن وجهد متواصل، ولولا الرغبة في مثوبة الله من ورائه لما وجد عليه حريص، لكن جزيل ثواب الله جعل العلماء يصبرون عليه، ويحرصون عليه، ويشد بعضهم أزر بعض بالتواصي بالحق والتقوى والتكاتف والتعاون على بيان الحق للعامة والخاصة، من خلال مخالطتهم والتعرف على مشكلاتهم وهمومهم، وتوجيههم نحو الخير في تلطف وتودد، إضافة إلى مدافعتهم عن حقوق العامة مع صدق القول والعمل (١) .

وقد يكون من بين الأسباب التي تعود للعلماء أيضاً: ضعف علمية بعضهم إما بسبب عدم الإخلاص في طلب العلم أصلاً أو ضعف الإمكانات الذاتية لديهم، أو قصور في طلب العلم نفسه أو غيره من الأسباب .

وربما كان أسلوب بعض العلماء في التعامل مع الناس من حيث بعدهم عن واقعهم، وعدم صراحتهم، ومجافاتهم لهم من الأسباب التي لم تغر الناس بالاقتراب منهم، ولم تدفعهم في اتجاه الاحتكاك بهم والرغبة في الحصول على نوال الخير الذي عندهم، ذلك أنه عندما تفقد قيادات المجتمع الجاذبية تكف العامة عن المتابعة فيحصل الانفصام بين الصفوة والعامة، ويقل بالتالي التأثير ومن ثم فحاجة الأمة إلى النوعية العليا من العلماء الدعاة ماسة جداً(٢) .

وقد يكون من الأسباب التي تعود للعلماء أيضاً: كثرة الاختلاف في صفوف العلماء، وما لوحظ مؤخراً من التحزب والتفرق والانتصار للبعض دون البعض

(١) انظر: مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤، مرجع سابق .
(٢) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص ٣٤٣، مرجع سابق .

الآخر، كل ذلك أدىٰ إلىٰ نوع من الحيرة في صفوف العامة، وساهم في الابتعاد عن العلماء، مما جعل أولي النهىٰ والأحلام في الأمة يوجهون الدعوة تلو الدعوة إلىٰ العلماء والدعاة وطلاب العلم إلىٰ الكف عن هذه الخلافات والمشاحنات، وتكريس الجهد في طلب الحق والالتفاف حوله مع ضرورة إدراك أن الخلاف في بعض المسائل الفقهية والفرعية والمسائل الاجتهادية سائغ ومقبول [١] .

٢ ـ ما يعود للناس :

وإذا كنا قد سقنا جملة من المسائل التي نعتقد أنها تعود للعلماء فيما يتعلق بظاهرة القطيعة بينهم وبين الناس، فإننا أيضاً بالبحث والتمحيص قد وجدنا أموراً كثيرة تعود للناس وتمثل سبباً رئيسياً في وجود الظاهرة المدروسة منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر عدم إدراك الناس لمكانة العلماء في الحياة مما أدىٰ إلىٰ سوء معاملتهم، إما بعدم تقديرهم واحترامهم كما ينبغي، أو بعدم اعتبار أقوالهم وإنزالها المنزلة اللائقة بها من حيث أهميتها في بيان حكم الله، وإما بنقص العدل في الحكم عليهم حيث تصدر عنهم أخطاء في الوقت الذي كان فيه السلف يثيرون الدهشة وينتزعون الإعجاب في حسن تعاملهم مع العلماء [٢] .

بل إن عدم إدراك مكانة العلماء في الحياة أدىٰ ببعض الناس إلىٰ تجاوز الإعراض عن العلماء إلىٰ الطعن فيهم وسوء الظن بهم ومناوءتهم، وتحقيرهم عياذاً بالله، وهم لا يدركون فداحة الخطأ الذي يرتكبونه وقبحه وشناعته، وإضراره بالدين نفسه فمعارضة الناس للعلماء بهذه الصورة المنكرة وتنفيرهم للناس عنهم، وإفساد ظنهم فيهم والسعي لإفساد العلاقة بينهم وبين الناس يؤدي إلىٰ وبال عظيم حيث يفسد دين الناس [٣] .

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، محمد بن صالح العثيمين، دار المجد، ط١ عام ١٤١٤هـ، ٨، ٩ .

(٢) انظر : قواعد في التعامل مع العلماء، ص ٩ ، ١٠ ، مرجع سابق.

(٣) انظر : فضائل الدعوة إلىٰ الخير واتبليغ لدين الله ، ص ٦٥ ، مرجع سابق ، وانظر : فتنة التكفير والحاكمية، محمد بن عبد الله الحسين، ط١ ، عام ١٤١٦هـ ، ص ١٥ ـ ١٧ .

« ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة » [١] .

ولعمرو الله إن هذا لهو الإنصاف الذي يجعل مسلك الذين يؤذون العلماء في أنفسهم وفي أعراضهم، ويجعلون من مجالسهم الخاصة والعامة فرصاً للتندر بالعلماء مع أن لحوم العلماء مسمومة مسلك غريب علىٰ أمة الإسلام التي تعلم علم اليقين أن الله حرم الغيبة عامة فكيف بغيبة العلماء . « ومع ذلك فإن أعراض العلماء والدعاة أصبحت عند بعض الناس كلأ مباحاً يقع فيه متىٰ شاء، وكيف يشاء، ولست أدري أي خير يبقىٰ في الأمة بعد علمائها ودعاتها، رحم الله الإمام عبد الله بن المبارك إذ يقول : « من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته » [٢] . وما ذلك إلا لمكانة العلماء العالية في دين الله بثناء الله عليهم حيث أشهدهم علىٰ أعظم مشهود عليه دون غيرهم : **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [٣] وليس وراء ذلك شرف وثناء، ولم يسو الله بينهم وبين غيرهم : **﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** [٤]، **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** [٥] ، وأثبت لهم أنهم أهل الفهم عن الله : **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾** [٦] ، وحصر خشيته فيهم : **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** [٧] ، وبين أن معرفتهم له تحول بينهم وبين التعرض لسخطه وخزيه **﴿قَالَ**

---

(١) منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤ .

(٢) نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها ، أحمد بن عبد الله الصويان ، دار النشر الدولي بالرياض ، ص ١ ، عام ١٤١٤هـ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨ .

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩ .

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١١ .

(٦) سورة العنكبوت ، الآية: ٤٣ .

(٧) سورة فاطر، الآية: ٢٨ .

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (٢) ، فكيف يكون من كان هذا حاله وهذه منزلته موضوعاً لحديث الناس ؟ والله قد فرض طاعتهم وأمر بسؤالهم مما يدل على مدحهم وتزكيتهم وتعديلهم في قوله جل جلاله : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، ومن ثم فإنه لا يجوز غمزهم والغض من مكانتهم .

ورحم الله من قال :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقد عرف الأعداء أن النيل من مكانة العلماء يراد منه الإضرار بالدين فوجهوا لهم أسهم الاتهام وحرضوا الفسقة على ذلك والذين يسايرونهم في هذا الاتجاه ويشايعونهم عليه إنما هم أدوات حقيقية لأولئك الأعداء، فالطعن في العلماء طعن في العلم الذي يحملون، ومن ثم طعن في الإسلام ودعوة صريحة لعزل العلماء عن الناس، رد الله كيدهم في نحورهم، وحفظ على الأمة دينها بحفظ علمائها ودعاتها فما تجرأت أمة على علمائها إلا خشيت عليها الفتنة والتمزق والهلاك، وأصابتها المحن (٤) .

(١) سورة النحل، الآية : ٢٧ .
(٢) سورة القصص ، الآية : ٨ .
(٣) سورة الأنبياء، الآية : ٧.
(٤) انظر : قواعد للتعامل مع العلماء ، ص ٤٣ ـ ٥٦ . وانظر : فتنة التكفير ، ص ١٥ ـ ١٧ ، مرجع سابق ، وانظر : العلماء هم الدعاة، ص ٤ ـ ٩ ، مرجع سابق، وانظر : خواطر على طريق الدعوة (جراح وأفراح) ، محمد حسان ، دار المسلم بالرياض ، ط١ ، عام ١٤١٤هـ ، ص ٩ .

والذين يحرصون على إشاعة زلات العلماء بين الناس ولا يشيعون بالمقابل حسناتهم غير منصفين، وغير عادلين ويمارسون عملاً لا يحل لهم (١) .

والسلوك الملائم هو أن يعرف للعلماء فضلهم، وأن يثني عليهم، ويحمد لهم جهدهم في حفظ الدين، ولا يسمح لأحد بالتجرأ عليهم والقدح فيهم حتى أولئك الذين قالوا أقوالاً ضمن الخلاف السائغ شرعاً بحيث لم يخالفوا نصاً ولا إجماعاً (٢) .

فليس من الحكمة نبش أخطاء العلماء، ولا تتبع سقطاتهم، وترخصهم لما في ذلك من آثار على علاقتهم بعامة الناس، بل الحكمة كل الحكمة في مناصحتهم بين المرء وبينهم وعلى الهيئة الشرعية ومن أهم النصيحة لهم الاتصال بهم وإيضاح جوانب القصور أو العيوب التي ظهرت، وتذكيرهم بالله، وحثهم على الزهد المشروع والورع الصحيح وغير ذلك من الأمور التي تساعد على القيام بواجبهم تجاه دينهم وأمتهم (٣) .

وقد كان تعزير من ينال من أكابر علماء الأمة الإسلامية وأئمتها المجتهدين هو الأمر المعمول به باعتبار أن النيل منهم والطعن فيهم جريمة هدفها إضعاف ثقة الأمة بعلمائها ليضعف أخذها عنهم أو ينعدم وناهيك بهذا فساداً لذلك كان فرض احترام هؤلاء الأكابر من علماء الأمة وذوي الفضل منها محتماً، وتعزير من يخل به أيضاً محتماً (٤) .

وما موقف عمر رضي الله عنه من الشخص الذي انتقص أبا الدرداء رضي الله عنه عنا ببعيد حيث لببه وأحضره لرسول الله ﷺ حيث أنكر فعلته لكن القرآن كان قد سبقه حيث أنزل الله قوله جل جلاله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

(٢) انظر : الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، ص ٦٥ ، مرجع سابق .
(١) انظر : فقه الخلاف بين المسلمين ، للدكتور ياسر برهامي ، ص ٦ .
(٢) النصيحة شروطها وضوابطها ، ص ٣٠ ـ ٣١ ، وانظر : أسس الدعوة وآداب الدعاة ، ص ١٦ .
(٤) انظر : حديث الروح، ص ٣٣ ، ٣٤ ، مرجع سابق .

وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١) ، وقد عزر عمر نفسه رضي الله عنه رجلاً نال من ابن مسعود رضي الله عنه تطبيقاً لمبدأ تعزير من تطاول على العلماء الكبار (٢) .

وما ذلك إلا ترسيخاً لاعتبار العلماء الشرعيين الذين يفترض أن يكونوا موضع الاحترام والثقة، حتى يمكنهم بمساعدة المتخصصين في جوانب الحياة المختلفة إنزال وقائع الحياة اليومية على أحكام الشرع الحنيف باعتباره شرعاً متكاملاً ينتظم الحياة كلها (٣) .

ومعلوم أن الاعتبار الشرعي للعلماء لا يرفع إلا بالشرع وأن الأخذ عنهم يستوعب الهدي الظاهر والسمت والتطبيق العلمي (٤) .

وقد تقرر في أذهان المسلمين تقديراً لعلمائهم واحتراماً أنه ينبغي أن تكون أبواب السلاطين مفتوحة أمام العلماء ليقوموا بواجب النصح لولي الأمر من المسلمين، ويرفعوا إليه حاجات المستضعفين ويكشفوا له عن أوجه المصالح التي يرونها عوناً له على تأدية الأمانة التي في عنقه (٥) .

وقد قال بعض البلغاء: «من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العلماء، وإلى عقله عقول الحكماء، ويديم الاسترشاد ويترك الاستبداد، فمن استشار العالم فيما ينويه، واسترشد العاقل فيما يأتيه، وضحت له الأمور، واستنار فيه القلب وسهل عليه الصعب» (٦) .

والناس اليوم بحاجة إلى إدراك مكانة العلماء وأهميتهم للحياة السوية حتى

---

(١) سورة التوبة، الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) انظر : حديث الروح، ص ٣٣ـ٣٥ ، مرجع سابق .
(٣) انظر : قواعد التعامل مع العلماء ، ص ٦٧ ، مرجع سابق .
(٤) انظر : قواعد التعامل مع العلماء ، ص ٦٩ ، مرجع سابق .
(٥) انظر : تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، أبو عبد الله محمد بن علي القلعي ، تحقيق : إبراهيم يوسف مصطفى عجو ، مكتبة المنار، ط١ ، عام ١٤٠٥هـ، ص ٢٤٨ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

يكونوا أكثر إيجابية وحيوية في التعامل معهم، ويقبلوا عليهم للأخذ عنهم والصدور عن رأيهم .

ومن الأسباب التي أدت إلى انصراف الناس عن العلماء وتعود إلى الناس أنفسهم : انشغال الناس بالدنيا وإقبالهم عليها كما يشهد بذلك واقع الناس حتى لم يعد لديهم متسع من الوقت للتفكير بالتعليم مما أدى إلى رغبتهم عن العلم، وعدم سعيهم لطلبه من مصدره العلماء إلا في القليل النادر (١) .

كما أن من أهم الأسباب التي تعود للناس في نشوء الظاهرة المدروسة : ضعف الالتزام بشرع الله لدى كثير من الناس مما أدى« إلى ظهور مخالفات شرعية كثيرة في حياتهم اليومية، ليس أقلها عدم سؤال أهل الذكر عند الحاجة، بل التوجه إلى جهات غير مؤهلة للفتوى تحاول أن تقدم نفسها بديلاً عن العلماء، وأن تقوم مقامهم في توجيه الناس، وهي في الحقيقة تضلهم وتغويهم» (٢) .

وكذلك من الأمور التي قد يرجع إليها ضعف صلة الناس بالعلماء : استحواذ وسائل الترفيه الحديثة العديدة المتنوعة شكلاً وموضوعاً على أوقات الناس ولهثهم وراء ما تقدم لهم من غثاء، بل سموم (٣) ؛ حيث شغلتهم وأعمت أبصارهم وربما بصائرهم .

٣ ـ ما يعود للحكومات في العالم الإسلامي :

إذا كنا فيما مضى قد كشفنا عن أمور كثيرة مما يعود للعلماء وللناس فيما يتعلق بنشوء الظاهرة المدروسة ظاهرة القطيعة بين العلماء والناس، فإننا أيضاً ونحن نتناول العوامل والأسباب الحقيقية لوجودها لا يمكن أن نتجاهل دور الأنظمة السياسية في الموضوع باعتبار أن هناك أسباباً عديدة قد تعود لها من مثل عدم

---

(١) انظر : الرأي العام في ضوء الإسلام ، ص ١٨٧ . وانظر : العلماء هم الدعاة ، ص ٣١ .
(٢) الورقة المقدمة حول هذه القضية لملتقى علماء وغرب إفريقيا في نواكشوط ، من معد البحث، ص٣ ، مرجع سابق . وانظر : الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٨٧ ، مرجع سابق .
(٣) انظر : المسئولية في الإعلام (النظرية والتطبيق) ، ص ٢٦ـ٤٤ ، وانظر : مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة ، ص ١٠٧ـ١٠٨ ، ١٤٣ـ١٤٧ .

إضفاء الهيبة عليهم، وعدم إعطائهم الأهمية التي يستحقونها بحكم وضعهم العلمي ذي التأثير البالغ في الحياة، إضافة إلى ضعف وضعهم الوظيفي في كثير من بلدان العالم الإسلامي مما ساعد على تردي وضعهم المالي، وسوء حالتهم الاقتصادية، وجعلهم في مؤخرة القافلة فيما يتعلق بإدارة الشئون العامة للحياة تخطيطاً وإدارة، كما أنهم يفقدون كثيراً من جوانب الرعاية التي تجعل أمورهم ميسرة .

ولعل من أظهر الأمور في هذا السياق هو ما يلحظ من تنوع الأساليب التي تتبعها حكومات عديدة في العالم الإسلامي في التعامل مع العلماء . ومن تلك الأساليب الاحتواء والاستقطاب والإغراء بالمال والمناصب وغير ذلك من المزايا المادية والمعنوية التي تغدق على البعض، وكذلك إيذاء المعارضين والبطش بهم، أو تلويث سمعتهم، أو إشغالهم في أمورها مشية تستغرق وقتهم فلا يبقى لديهم ما ينفقونه في توجيه الناس ورعاية مصالحهم وبتلك الأساليب منفردة أو مجتمعة تحصل الفجوة بين الناس والعلماء [(١)] .

٤ ـ ما يعود لظروف العصر:

هناك في الحقيقة جملة أمور متصلة بظروف العصر كان لها أثر بالغ في وجود الظاهرة المدروسة، وهي من الظهور بحيث يكتفي بالإشارة عن كثرة العبارة في بيانها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر الغزو الفكري الذي ربط جيل العلماء بالماضي الذي ينبغي التخلص منه في نظر أصحابه، وتدفق المعلومات أو طفرتها وكثرة الوسائل التي تحمل صنوف المعرفة للناس مما جعلهم يتصورون أنهم في غنى عن العلماء وأنهم باتصالهم بالعالم وانفتاحهم عليه وقدرتهم على التعامل معه من خلال قنوات الاتصال المختلفة وشبكات المعلومات وبنوكها، والبث المباشر وتوابعه، والمغريات الكثيرة، والإنجازات المادية الكثيرة التي أشعرت الناس بنوع

(١) انظر: مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١١٣ ـ ١١٤، مرجع سابق، وانظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٨٧، مرجع سابق .

من القدرة على إدارة الحياة بل والسيطرة عليها، وتأثيرات الإعلام الداخلي والخارجي على الناس، إلى جانب البنية الفكرية للعصر، كل ذلك أسهم بشكل مباشر في إيجاد هذه الظاهرة [(١)] .

(١) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٨٧، مرجع سابق. وانظر: مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، ص ٥٥ ـ ٥٩، مرجع سابق .

ثانياً: نماذج من مظاهر الاختلال وفيه :

١ ـ انصراف الناس عن العلماء .

٢ ـ نيل الناس من العلماء .

٣ ـ تولي جهات غير مؤهلة القيام بمهام العلماء .

لقد بينا أثناء بياننا لعوامل وأسباب وجود الظاهرة أن الذي ترتب على تلك الأسباب والعوامل هو وجود الظاهرة نفسها، وكشفنا عن مظاهر وجودها، مما عرضنا له مما جعلنا في غير حاجة معه للإعادة غير أنه لا مناص من التلخيص والتركيز لما نعتقد أنه يمثل مظهراً حقيقياً لها .

فالأسباب السابقة مجتمعة أدت إلى انصراف الناس عن العلماء سواء فيما يتعلق بتلقي العلم عنهم، واستشارتهم والصدور عن رأيهم، أو حتى طلب الفتوى منهم وهو أمر ظاهر بين يدركه الذين يولون حركة الحياة اهتماماً ولو يسيراً مما أدى إلى ضعف حياة المسلمين بصورة عامة وبروز كثير من الآثام والشرور فيها، إضافة إلى شيوع الطعن في العلماء وتجريحهم حتى غدا ذلك عادة عند بعض الناس، ولا يخفى ذلك على من يغشى مجالس الناس اليوم، وصور العلماء في هذا التجريح بأنهم أصبحوا أدوات لظلم الناس، وأنه لا شأن لهم بإصلاح شئون الخلق، ولا اهتمام لهم بها، ومن ثم فلا بد من سحب البلاط من تحتهم، وتوجه الناس إلى غيرهم لتولي قيادتهم وتوجيههم الوجهة التي يريدون حتى تقوم تلك الجهات بإسداء المشورة والنصح في إدارة دفة الحياة، وتناط بها مهمة إيجاد حلول للمشكلات اليومية التي يتعرض لها الناس، ومن ثم يفقد العلماء وهجهم وتألقهم في حياة الناس، ويرغب الناس عنهم بانفكاك مصالحهم الدينية والدنيوية عنهم كما تصوروا، ولا يعلم مبلغ خطر ذلك على الناس أنفسهم، ولا تخفى تلك المظاهر على من كان له أدنى بصر أو بصيرة (١) .

(١) انظر: الورقة المقدمة حول هذه القضية لملتقى علماء غرب إفريقيا في نواكشوط، من معد البحث، ص ٨ . وانظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٨٧ ، وانظر ما كتب تحت أولاً في هذا المحور من البحث، ص ٦١ ـ ٨٧ .

ثالثاً: الآثار التي ترتبت على اختلال علاقة العلماء بالناس :

قد يكون من الصعب على باحث واحد تحديد الآثار المترتبة على الظاهرة خاصة وأنه لم يدرسها دراسة ميدانية نظراً لما تصوره من صعوبات قد لا يكون في مقدوره تذليلها مع أهميتها للتدليل على صحة المقولات والآراء التي طرحت أثناء تناولها في هذا البحث، ولكن ذلك لا يعني أنه ليس بالإمكان محاولة الكشف عن آثار للظاهرة لا تصعب تجليتها ولا إدراكها على المتابع الواعي المتأمل .

ولعل من أبرز تلك الآثار: تأخر العلماء عن مكانتهم الطبيعية في الحياة الاجتماعية رغم أهميتهم للحياة مما جرى الحديث عنه فيما سبق، وما نشأ عن ذلك من فساد في حياة الناس لعدم تأسيسها على العلم . إن الحياة التي لا تقاد بالعلم عديمة الفائدة في حقيقة الأمر مما رتب أثراً آخر لا يقل خطراً عن سابقه وهو شيوع الجهل بدين الله وانتشار الأمية، وانتشار البدع والخرافات بل والضلالات، وفساد التصور وسيادة كثير من المفاهيم المغلوطة كالتواكل، والمسكنة مما عرض حياة المسلمين لصنوف من الذلة والهوان ما كان لها أن توجد في ظل الفهم الصحيح للإسلام .

وأدى الأمران السابقان إلى أثر ثالث هو نتيجة طبيعية لهما هو ما يلحظه كل أحد من شيوع مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي في حياة المسلمين تجاوز في الجوانب العقدية، وصنوف المعاصي كل تصور، وأدى إلى تعالي صيحات الدعاة والمصلحين بضرورة التنبه له والوقوف في وجهه، والسعي الحثيث لإصلاحه، وما ذلك على الله بعزيز (١) .

(١) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ، مرجع سابق . وانظر: مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، ص ٥٦ ـ ٥٩ ، مرجع سابق، وانظر: وظيفة الأخبار في سورة الأنعام، المؤلف، دار عالم الكتب بالرياض، ط٣ ، عام ١٤١٠هـ، ص ٣٦٨ .

وهناك آثار أخرىٰ كثيرة ترتبت علىٰ وجود هذه الظاهرة لكنها ليست في مستوىٰ الآثار السابقة ويمكن في حقيقة الأمر تفريعها عنها، لكن الإشارة إليها قد تكون مطلوبة تجلية لمعالم الظاهرة من مثل صعوبة الحكم علىٰ المسائل الكثيرة المستجدة في حياة الناس وعجزهم عن الحصول علىٰ الفتاوىٰ الشرعية التي تصدر لمواجهتها وتشتت شمل الناس وتفرقهم إلىٰ شيع وأحزاب، وفرق وجماعات حتىٰ في التيار الفكري الواحد مما يعايشه الناس في واقعهم وحياتهم، وكذلك كثير من الظواهر السلبية في حياة المسلمين كالغلو وما يترتب عليه من تكفير وآثار مدمرة في الحياة، وما يقابله وهو التفريط وما نشأ عنه من انتشار للفساد اعتقاداً وسلوكاً، مما هيأ الفرصة لجهات أخرىٰ لمحاولة الظهور - بمظهر البديل الملائم عن العلماء، وخاصة بعض الطامحين من ذوي البضاعة القليلة في العلم الشرعي، وأصحاب الدعوات الذين يفرقون بين العلم والدعوة أو بين الدعاة والعلماء، أو بين الفقه في الدين والفقه في الدعوة أو غير ذلك من الشعارات التي يطفح بها واقع الأمة مما كان له أكبر الأثر علىٰ الدين والسلوك، والأفكار والمفاهيم، والتعامل والمواقف بل الولاء والبراء[1]، (إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر)[2] .

وليس أقل تلك الآثار شأناً ما ترتب علىٰ تلك الظاهرة من ضياع لحقوق ضعاف الناس حيث قل النصير المدافع عن حقوقهم أو لم تعد قدرته علىٰ ما كانت عليه في سالف عصور الأمة .

وربما كانت حالة الاستخذاء العامة التي تعيشها الأمة الآن، وضعفها وعدم قدرتها علىٰ اتخاذ المواقف المناسبة في أحداث الحياة علىٰ مستوىٰ العالم ضرب

(١) انظر : التصفية والتربية ، ص ٨٨ـ٨٩ ، مرجع سابق ، وانظر : من قضايا الصحوة ، ص ٧٥ ، مرجع سابق ، وانظر : قضية وحوار (العنف في العمل الإسلامي المعاصر) قراءة شرعية ورؤية واقعية ، ص ٢٧ ، مرجع سابق ، وانظر : قواعد التعامل مع العلماء، ص ٣٧ـ٤١ .
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٩٥) .

آخر من ضروب هذه الآثار، إلىٰ جانب صور التبعية الفكرية والسياسية، والاقتصادية التي تشيع في مناطق مختلفة من الأمة المسلمة، ذلك أن العلاقة السوية بين العلماء والناس في سالف عهد الأمة كانت من أسباب صحة الأمة وحصانتها وعزتها وسؤددها وريادتها حيث كانوا سادة وقادة. وما الصحابة رضوان الله عليهم والعلماء من بعدهم الذين أشير إلىٰ عدد كبير منهم فيما مضي مثل عبد الله بن المبارك والعز بن عبد السلام وابن تيمية إلا كواكب مضيئة في سماء مجد الأمة الذي نرجو أن يعود من جديد في ظل إدراك حقيقي لمكانة العلماء وإحلالهم المحل اللائق بهم، خاصة وأن بوادر بزوغ الفجر الصادق بدأت تلوح في الأفق من خلال مبشرات كثيرة، ليس أقلها تهاوي صروح الباطل في كل مكان[1] .

(١) انظر : دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية ، المؤلف، دار المسلم بالرياض، ط١ عام ١٤١٦هـ ، ص ٥، ١١، ١٢ . وانظر : الدعوة إلىٰ الله الواقع والأمل ، المؤلف، دار عالم الكتب بالرياض ، ط ١ ، عام ١٤١٥هـ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، وانظر : مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة ، ص ٤٦ـ٤٧ ، مرجع سابق ، وانظر : طرق تدريس القرآن الكريم ، د. محمد السيد الزعبلاوي ، مكتبة التوبة، ط١ ، عام ١٤١٧هـ ، ص ٥ ، ٦ .

المحور الثالث

محور علاج الظاهرة

وفيه :

- بناء الثقة بين العلماء والحكومات في العالم الإسلامي .
  - بناء الثقة بينهم وبين الناس .
  - إتاحة الفرصة للعلماء للقيام بدورهم في إصلاح الحياة .
- إشراك العلماء في المسائل العامة والاهتمام برأيهم في إدارة شئون حياة الناس .
- تطهير وسائل الإعلام في العالم الإسلامي وإصلاحها حتى تصبح أدوات حقيقية في إشاعة العلم الصحيح والفكر النير ، والسلوك المستقيم (١) .

قبل الدخول في معالجة هذا المحور لا بد من توطئة يكشف فيها عن أهمية معالجة هذه الظاهرة لخطورة وجودها واستفحالها حيث إن استشراءها، واستمرارها، وعدم التنبه للشرور العظيمة التي تصاحب وجودها في حياة الناس قد يؤدي إلى تحول مجرى الحياة يصعب في ظله إعادته إلى ما كان عليه في سابق عهد المسلمين حيث تضافرت النصوص القرآنية على بيان أهمية العلم في صلاح الحياة واستقامتها : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ...﴾ (٢) ، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣) ، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم

---

(١) انظر : الورقة المقدمة حول قضية البحث لملتقى علماء غرب أفريقيا في نواكشوط ، ص ١ .
(٢) سورة القصص ، الآية : ٥٠ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٠ .

مَنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١) ، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٢) ، ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٣) ، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (٤) ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٥) ، وغير ذلك من النصوص الدالة على مكانة العلم والعلماء في الحياة مثل : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (٦) .

مما يؤكد أهمية إقامة الحياة على العلم ولا يمكن إقامة الحياة على العلم في غياب الحفاوة بالعلماء، وإنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله، فهم جدراء بالحرص عليهم وحسن التعامل معهم، وكمال الرعاية لحقوقهم لمنزلتهم في الدين كما مر بيانه من قبل (٧) ، وكما جاء في الحديث: « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » (٨) ، وحديث: « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** »(٩) ، وحديث: « **العلماء ورثة الأنبياء** »(١٠) ، والحديث المتضمن إجابة الرسول ﷺ لمن سأله عن خير الناس فقال: « **أقرؤهم، وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٥ .
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٧ .
(٣) سورة مريم ، الآية: ٤٣ .
(٤) سورة طه ، الآية: ١٢٣ .
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٨ .
(٦) سورة محمد ، الآية: ١٩ .
(٧) انظر ما كتب في المحور الأول من هذا البحث ص ٢١ ـ ٦٠ .
(٨) الحديث أخرجه البخاري .
(٩) الحديث أخرجه البخاري .
(١٠) سبق تخريجه في ص ٢٥ من هذا البحث .

للرحم» (١) .

ولأنهم هم الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا (٢) ولأنهم هم الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام (٣) وميزتهم الأساسية هي العلم الذي جعلهم ورثة الأنبياء، وأورثهم قدراً لائقاً من الاعتبار والمكانة في الشريعة أوجب موالاتهم ومحبتهم، واحترامهم والسعي إليهم والأخذ عنهم (٤) .

ولذلك دأب الصالحون من الأمة على الحرص على جمع الأمة على أهل العلم حتى تسلم الأمة من الفتن لصلاح العلماء وكثرة نفعهم للأمة، وكان الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا صح الكتاب والسنة لم يتعدوها إلى غيرها (٥) . وهذا الذي يدعو إليه المعاصرون من أهل السنة « والذي عليه عمل السلف أن قيادة الدعوة وريادتها، وتوجهها لا بد أن تكون من العلماء، وفي العلماء، وأقصد أن العلماء لا بد أن يتصدروا الدعوات في كل أمر ذي بال، ولا بد أن نجعلهم هم القادة، وهم المرجع، وهم الموجهون للدعوة للعوام... وما لم يكن الأمر كذلك فإن في الأمر خللاً لا بد من استدراكه، وخطأً لا بد من تصحيحه، بل إن الأمر إن لم يكن كذلك فإن الدعوة ستنحرف لا قدر الله» (٦) .

ومن ثم فإن جمع الناس على العلماء هو القاعدة الصلبة في علاج الظاهرة التي تدرس حتى يقودوا الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أي بالعلم النافع

(١) الحديث أخرجه أحمد وقال عنه الهيثمي رجاله ثقات ، وفي بعضهم مقال لا يضر، مجمع الزوائد ٧/ ٢٦٣ .
(٢) انظر جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري ٣ / ٣٢٧ .
(٣) انظر : إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ١ / ٧ .
(٤) انظر : قواعد التعامل مع العلماء، ص ٨ ، مرجع سابق .
(٥) انظر : منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، ص ٥٣ ، ٦٢ .
(٦) العلماء هم الدعاة، ص ١١ ، مرجع سابق .

والعمل الصالح ثم بالنموذج البشري السوي الذي يجسد الفكرة في حياته، ومظهره ومخبره وسلوكه (١) .

ولعلنا في السطور التالية نتمكن من تقديم ما نعتقد أنه علاج حقيقي لظاهرة القطيعة بين العلماء والناس، وسبيل قويم بإذن الله لتقوية الصلة بين العلماء والناس، بل وإحسانها، حتى تعود إلى ما كانت عليه في العصور الزاهية من تاريخ الأمة كما مر بيانه من قبل (٢) وذلك على التفصيل التالي:

أولاً: بناء الثقة بين العلماء والحكومات في العالم الإسلامي:

في تصوري الشخصي أن هذا هو حجر الزاوية في المعالجة وليس بمستحيل ولا مستبعد متى ما سلمت النيات وخلص العمل من الغرض والهوى .

وما سأعرضه هنا هو من بنات فكري، ومحض اجتهادي، وأتحمل كامل المسئولية عنه، وأرجو أن يكون حظي فيه من التوفيق كبير، وأن يكون الإصلاح غايتي، والإخلاص عدتي .

أتصور أن السبيل الأمثل لبناء الثقة بين العلماء والحكام: ينبغي أن يصدر فيه عن ترسيخ قناعة أساسية هي عين الحقيقة لدى الحكام الشرعيين، وهي أن العلماء والدعاة هم سند الحكام بعد الله وأداتهم الحقيقية في تثبيت الحكم وإقامة دعائمه على الحق والعدل من خلال النصح لهم، ووعظهم وتذكيرهم، ونصرتهم وتأييدهم، وجمعهم قلوب الخلق على محبتهم، ولزوم طاعتهم في المعروف، وإصلاح دين الناس وفكرهم وسلوكهم، والدعاء لهم سراً وعلناً بدوام العز والسؤدد والهداية لما فيه صلاحهم وصلاح أمتهم مع بعدهم عن الطمع في سلطانهم، وطاعتهم، والابتعاد عن منازعتهم ومناوءتهم، والكيد لهم، وغير ذلك من الأمور التي تكون سبباً في شحن صدور ذوي السلطان على العلماء مما يلقيه شياطين الإنس والجن في روعهم، والعلماء منه براء، لكن ما هو السبيل إلى

(١) انظر: فقه الخلاف بين المسلمين، ص ٧٠، ٧١، ١٠٤، مرجع سابق .
(٢) انظر: المحور الأول من هذا البحث، ص ٣٨-٥٧ .

إيجاد هذه القناعة ؟!

أعتقد أنه ربما كان على الفريقين جزء من المسئولية في الوصول إلى النتيجة المرضية في هذا السبيل، فالعلماء يملكون أسباب الإقناع بمسلكهم الذي أشرت إليه وبواقعهم الذي بينت، لكن ربما كان لبعض الأسباب التي ذكرت في عوامل من نشوء الظاهرة من قبلهم دخل في ضعف درجة الإقناع التي أتصورها، وأرى أنها أول الطريق في بناء الثقة بين الفريقين، بمعنى أنه قد يكون لزهد العلماء وورعهم وخوفهم على دينهم دخل في الحيلولة بينهم وبين إحسان الصلة بذوي السلطان وهذا في نظري خلل ينبغي أن يعالجه العلماء وبالحكمة والأسلوب المناسب حتى يسدوا على من يريدون إفساد العلاقة السوية التي ينبغي أن تسود بين العلماء والحكام المنافذ الشيطانية التي يدخلون منها، ولا إخالهم عاجزين عن ذلك، خاصة وأن العلم الذي يملأ صدورهم يمدهم بمعين لا ينضب من الحكمة والبصر والبصيرة، وهم إن شاء الله راغبون، وفاعلون، لأن ذلك هو مقتضى إمامتهم في الدين، وسبيل من سبل تحقيق مرضاة الله عنهم .

أما ما يتعلق بجانب الحكام وذوي السلطان فإنهم قد يكونون سبباً في تعميق الفجوة بينهم وبين العلماء من خلال ما قد يكون من تعال، أو قصور في فتح القنوات المناسبة مع العلماء، أو بالسماح للوشاة والحاسدين والمغرضين بأن يفسدوا عليهم العلاقة السوية بينهم وبين العلماء بتخويفهم منهم، وتحذيرهم منهم، وتحريضهم عليهم، وغير ذلك من صور الشرور والبهتان التي يتوسل بها أصحاب الأغراض الفاسدة إلى غاياتهم الدنيئة، والحكام وذوو السلطان غير عاجزين عن إزالة هذه الأمور جميعاً من طريق الوئام والمحبة بينهم وبين العلماء بل إنهم بشيء من العناية والرعاية للعلماء يفسدون على المبطلين سعيهم في إفساد العلاقة بين الطرفين، وأنا على يقين بأن رغبتهم في إحسان العلاقة لا تقل عن رغبة العلماء لأنهم يعرفون قبل غيرهم قيمة هذه العلاقة بالنسبة لتوطيد الحكم واستقراره، وهم غير متهمين في الاهتمام بمصلحة الحكم، والعلماء يشاركونهم

الغيرة على مصلحة الحكم الشرعي، ويدركون واجبهم تجاه المحافظة على سلامته، ومن ثم يقومون بواجبهم تجاه ولاة الأمور من نصح، وتسديد، ومجاهرة بالحق .

وما من شك أنه متى صح العزم من الطرفين، وصدقت النيات، ووجدت القناعة بأهمية الثقة بينهما لإصلاح الحياة ورقيها، فإن كلاً منهما لا محالة واجد سبيله لإحسان العلاقة وتوطيدها، فالفريقان يملك كل منهما من أسباب الإبداع وأنواعه ما به تسقي شجرة الود بينهما وتشيد بواسطته جسور المحبة والمودة تحقيقاً لمصلحة الأمة فرعاية الفريقين لحقوق كل منهما على الآخر، والقيام بها على الوجه الذي يرضي الله يصلح ما انثلم من العلاقة بينهما، وبه يمتد حبل الود، وتصفو المحبة، ويعود للعلاقة ماؤها ورونقها أيام كانت من غير شائبة . ولعل مخافة الله من الطرفين هي الجذوة التي توقد في النفوس أسباب إحياء هذه العلاقة على الصورة السوية التي كانت عليها أيام السلف من جنس ما عرض فيما مضى [1] .

ولعله من نافلة القول ذكر أن إحسان هذه العلاقة كان ولا يزال هم العقلاء والحكماء ممن يريد صلاح حال الأمة، على كافة الأصعدة وفيهم من عبر عنه بأسلوبه الخاص وبالصورة التي يعتقد أنها محققة للغرض سواء اتفق معه أو لم يتفق، وسواء كان المعبرون عن آرائهم في ساحة العلم أو ساحة الأدب أو الساحة السياسية وبما أننا كنا قد عرضنا إلى رأي العلماء فلنفسح الصدر إلى رأي الأدباء في بيان حقيقة ما ينبغي أن تكون عليه تلك العلاقة .

« إن للسلطان المقسط حقاً لا يصلح بخاصة ولا عامة أمراً إلا بإرادته فذو اللب حقيق أن يخلص لهم النصيحة، ويبذل لهم الطاعة، ويكتم سرهم، ويزين سيرتهم، ويذب بلسانه ويده عنهم، ويتوخى مرضاتهم ويكون من أمره المؤاتاة لهم والإيثار لأهوائهم ورأيهم على هواه ورأيه، ويقدر الأمور على موافقتهم وإن كان ذلك له مخالفاً، وأن يكون من الجد في المخالفة لمن جانبهم وجميل حقهم،

(1) انظر ما كتب في المحور الأول من هذا البحث، ص ٣٨ ـ ٥٧ .

ولا يواصل من الناس إلا من لا تباعد مواصلته إياه منهم، ولا تحمله عداوة أحد له ولا إضرار به على الاضطغان عليهم، ولا مؤاتاة أحد على الاستخفاف بشيء من أمورهم، والانتقاص لشيء من حقهم، ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم، ولا يتثاقل عن شيء من طاعتهم، ولا يبطر إذا أكرموه، ولا يجترئ عليهم إذا قربوه، ولا يطغى إذا سلطوه، ولا يلحف إذا سألهم، ولا يدخل عليهم المؤونة، ولا يستثقل ما حملوه، ولا يعتز عليهم إذا رضوا عنه، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه، وأن يحمدهم على ما أصاب من خير منهم أو من غيرهم فإنه لا يقدر أحد على أن يصيبه بخير إلا بدفاع الله عنه بهم » [1] .

وكذلك رأي لعله يمثل السياسيين أو المثقفين : « فسبيل الإصلاح فيما أراه إنما يتمثل في وجوب إعادة اللحمة بين هاتين الفئتين، فئة الولاة، وفئة العلماء والدعاة، وإحياء ما كان عليه السلف الصالح من خلفاء الأمة الإسلامية، وعلمائها وفقهائها، لكي يعلم الدعاة في أيامنا هذه أن أي جسر يمد بين حكام الأمة وعلمائها الصالحين الثقات إنما هو في صالح الأمة، وخيرها إنما هو بإعادة الصلة بين الحكام والدعاة » [2] .

فالأمة فعلاً في حاجة ماسة إلى إصلاح ذات البين وخاصة بين العلماء والحكام، والفريقان بحاجة إلى وقفة صادقة مع النفس وعرضها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كي تسمو، وتزكو، وترقى وترتفع، وكل منهما مسئول، ومحاسب بين يدي الله على ما أؤتمن عليه، فالناس تبع لقادتهم سواء كانوا قادة ملك أم قادة علم [3] .

فإذا تعاون الفريقان على قيادة الحياة بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وحرص كل غاية الحرص على رعاية حقوق الطرف الآخر وحقوق عامة الناس التي يشتركون في المسئولية عنها ورعاية حقوق الله قبل ذلك، أمكن عندئذ أن تتآلف

(1) الأدب الصغير والأدب الكبير، ص ٤٣، ٤٤ .
(2) نحو دعوة إسلامية رشيدة، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣، مرجع سابق .
(3) انظر : تزكية النفس، ص ٤، مرجع سابق .

القلوب، ويتسنى لكل منهم أن يقوم بواجبه أحسن قيام .

« إن الأمة في أمس الحاجة هذه الأيام إلى دعاة تجتمع عليهم القلوب، وتتألف حولهم النفوس، دعاة ينطلقون من فهم صحيح ثابت لكتاب الله وسنة رسوله لتبصرة المسلمين بحقيقة دينهم، من ناحية وتحذيرهم من المؤامرات التي تحاك لهم في الليل والنهار من ناحية أخرى، دعاة يتحركون بدعوتهم خالصة لله جل وعلا وحده. . وإمامهم هو إمام الهدى ومصباح الدجى محمد ﷺ، ومن سار على دربه من العلماء العاملين والدعاة الصادقين » [(١)] .

فهؤلاء هم عدة الأمة في مكافحة الحركات الفكرية المنحرفة والدعوات الضالة، وهم عدتها في كبح جماع الغلاة، وتنشيط المفرطين، وذلك من خلال بث العلم الصحيح، وبيان الحق وإذكاء جذوة الإيمان الصحيح في النفوس، وضرب الأمثلة الحية الصادقة من خلال إبراز السلوك السوي [(٢)] .

ذلك أن كثيراً من الانحرافات الشائعة هي في الحقيقة نتيجة الجهل بحقائق الدين وتعاليمه، والعلاج إنما هو بنشر الفقه الصحيح بأحكام الله بدليله من الكتاب والسنة، مع تنمية الإخلاص لله، وتهذيب الحماس ونبذ الهوى والتحزب لغير الحق [(٣)] .

والعلماء لن يتمكنوا من القيام بهذه المهمة في غياب الثقة بهم من الحكام، لذلك فإن الأمة كما هي بحاجة إلى هؤلاء العلماء الدعاة بحاجة كذلك إلى حكام على درجة من الصلاح تجعلهم أداة تمكين لدين الله في النفوس، وسنداً قوياً للعلماء الصالحين، فالله نسأل أن يمكن للحق في نفوس الجميع، وأن يجعلنا هداة مصلحين .

---

(١) خواطر على طريق الدعوة (جراح وأفراح)، ص ٩، مرجع سابق.

(٢) انظر : قضيةوحوار (العنف في العمل الإسلامي المعاصر) قراءة شرعية ورؤية واقعية، ص ٦٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق، ص ٦٥ .

ثانياً: إتاحة الفرصة للعلماء للقيام بواجبهم تجاه إصلاح الحياة :

غني عن البيان أنه متى ما تحقق ما أشير إليه من قبل فيما يتعلق بحصول الثقة بين العلماء والحكام في الأمة، فإن السبيل قد مهدت لأن يقوم العلماء بواجبهم العلمي والديني في تأسيس حياة الأمة على العلم، وشيوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسبل والقواعد الشرعية، وهم دون ريب سيكونون خير عون لحكام الأمة في تسيير دفة الحياة بصورة شرعية، بأن توزن الآراء والمواقف تجاه كل الظروف والأحوال وزناً شرعياً يبتغي به وجه الله .

والعلماء ولا نزكي على الله أحداً من أحرص الناس على صحة ما يصدر عنهم من قول وفعل، لأنهم يعلمون قبل غيرهم أن الأعمال لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً صواباً أي على وفق ما جاء به الرسول ﷺ، وعلى ذلك فهم واقفون عند حدود الله لا محالة في كل شأن من شئون الحياة، والناس دون ريب تابعون لهم في هذا السبيل [(١)] .

ومتى ما تم تأسيس حياة الناس عامة على العلم الصحيح والحق الصراح ارتقت الحياة وازدهرت وتآلفت القلوب، وتوحدت الصفوف، وعزت الأمة وبزت، وذلك ما نرجوه، وندعو إليه .

ثالثاً: ضرورة إشراك العلماء في المسائل العامة :

إبراز هذا العنصر هو من باب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، فهو تخصيص بعد تعميم لتأكيد أهميته فيما نحن بصدده، وهو بالتأكيد مترتب على الأمرين السابقين، فثقة الحكام بالعلماء وإتاحة الفرصة لهم للقيام بواجبهم تجاه النصح للأمة، يتولد عنه بالضرورة إشراك العلماء في المسائل العامة، والاحتفاء

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٣٧، وانظر : مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٦١، ٦٢، مرجع سابق.

برأيهم في تلك المسائل لما لرأيهم من وزن في ضبط الأمور شرعاً، وما له من قبول لدى الناس لاحتوائه في الغالب على عناصر الإقناع والقبول لتأسيسه على العلم والحق، وصدق العلماء وإخلاصهم، وذلك أمر متقرر في الأذهان مسلم به من قبل الخاصة والعامة، وأكدته حوادث الزمان، ونوبه، وهو أيضاً تأكيد لمبدأ من مبادئ الحكم الإسلامي الأصيلة، مبدأ الشورى، الذي يثمر صلاحاً في الرأي ونفاذاً (١) .

رابعاً: بناء الثقة بين العلماء وبين عامة الناس:

من المؤكد أنه متى ما حصلت الثقة بين الحكومات والعلماء، وإشراك العلماء في مسائل الحياة العامة، وأتيحت لهم الفرصة للقيام بواجبهم تجاه إصلاح الحياة، وأدوا الأمانة المنوطة بهم في هذا الصدد فإنهم عندئذ سيكونون موضع ثقة الناس، واحترامهم وحبهم وتقديرهم، وإجلالهم، ويعود للعلاقة بين العلماء والناس سابق عهدها من الود والصفاء، والانقياد، والطاعة، والتعاون على البر والتقوى، حيث يشعر كل من الناس والعلماء أن لهم شأناً ودوراً مهماً في الحياة يحتاج إليه في إقامة صرح الحياة الإسلامية بل والدعوة لدين الله والإقناع به، حيث تتجسد حقيقة الدين واقعاً حياً في الحياة يشهد بصلاحية الدين لإدارة دفة الحياة إدارة صحيحة سليمة تثمر رقياً وسؤدداً، واستقرار ورخاء وأمناً .

وشواهد الدلالة على هذه المقوله من التاريخ الإسلامي والواقع المعيشي في بعض جوانب العالم الإسلامي أوضح من أن تحتاج إلى برهان (٢) .

خامساً: تطهير وسائل الإعلام في العالم الإسلامي:

المدقق في واقع استخدام وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، مدرك دون ريب طبيعة الفجوة بين المسئولين في هذه الأجهزة، وبين العلماء على مستوى

(١) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٢٣ ـ ١٣٤، مرجع سابق، وانظر مجلة الفرقان، العدد ٧٧، ص ٧ .
(٢) انظر ما كتب في المحور الأول من هذا البحث، ص ٢١ ـ ٦٠ .

العالم الإسلامي، أو ضعف العلاقة القائمة بينهما، مع ما ينبغي أن تكون عليه باعتبار أن العلماء هم مصدر مادة وسائل الإعلام، إذا ما أريد لهذه الوسائل أن تكون ذات قيمة في ذاتها، وذات شأن في حياة المسلمين، وذلك لأسباب قد لا تكون خافية على كثير من المهتمين بالشأن العام (١) .

فوسائل الإعلام في أغلب بلدان المسلمين لم تؤسس على تقى من الله لغياب الإسلام عن ساحة الحياة فيها، بل لغياب المسلمين عن الإسلام، ونشأتها نشأة منبتة الصلة بالله، والأعراف المهنية التي صاحبت استخدامها هناك قدمتها للمسلمين بصورة أدت إلى نفور كثير من الغيورين على دينهم منها لما لابس تلك الصورة من دنس، ورجس. كما أن أنظمة الإعلام في العالم الإسلامي لم تكن قادرة على القيام بدور الأصالة والمعاصرة في العطاء الإعلامي لها، بحيث تعيد للمسلمين ثقتهم في أنفسهم وقدرتهم على قيادة الحياة في شتى مجالاتها تحقيقاً لصفة العزة التي يتصف بها المسلمون حقاً، بسبب تبعيتها لأنظمة إعلام أقيمت في بلدان ومجتمعات ذات خصائص مغايرة لما عليه مجتمعات المسلمين الذين يؤسسون حياتهم على الإيمان ركيزة حياتهم الأساسية، بل إن الممارسة الإعلامية في واقع حياة كثير من بلدان العالم الإسلامي تصرف المسلمين عن أجهزة الإعلام لأنها تقدم الإعلام في ثوب لا يقبله ذو فطرة سليمة، كيف بالعالم الرباني الذي يغمر الإيمان وجدانه وكيانه، فأنماط الفكر والسلوك التي تطفح بها تقرنها بالسوء وتقرن السوء بها (٢) .

بل إن وسائل الإعلام في كثير من بلدان العالم الإسلامي أسهمت بنصيب وافر في التقليل من شأن العلماء من خلال تركيزها على إبراز قادة جدد يتولون مهمة العلماء من حيث كونهم موضوعاً للاقتداء حيث بوأتهم مكان الصدارة في

(١) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١٢٩، مرجع سابق.
(٢) انظر: مدخل إلى الإعلام، للمؤلف، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

المجتمع وفتحت أبوابها أمامهم مثل الرياضيين أو من يسمونهم نجوم الفن، في الوقت الذي حدث فيه من ظهور العلماء بالصورة المطلوبة، وكذلك من خلال إنتاج مواد تمثل لمزا للعلماء من طرف خفي، مما أسهم في انصراف الناس عن العلماء، وقلل من ارتباطهم بهم، وتوجههم إلى الوجهةالتي تصرفهم وسائل الإعلام إليها .

فلو أن وسائل الإعلام في العالم الإسلامي أعيد بناؤها، وترتيب أدائها بحيث تصبح أدوات حقيقية لتمكين الناس من فهم الإسلام وإدراك حقائق الحياة التي يسعى المسلمون لإقامتها، لكان العلماء أول المقبلين عليها، وأول المتفاعلين معها وأول المتفعين بها والمستثمرين لطاقاتها وإمكاناتها الكبيرة في الانتشار والسرعة والجاذبية، ولأصبحت أدوات حقيقية بأيديهم تمكنهم من بلوغ أهدافهم في الإبلاغ بدين الله ونشر إعلام الهداية خفاقة في العالمين (١) .

بل إن وسائل الإعلام عندئذ ستكون أداة حقيقية في توثيق صلة عامة الناس بالعلماء، لأنها ستتيح لهم التعرف على علمهم وفضلهم، ومبلغ احتياجهم إليهم في مواجهة ظروف الحياة المتجددة والمتقلبة، وستمكنهم من الانتفاع بما يقدمه العلماء من حلول ومقترحات لمواجهة المستجدات التي تحتاج إلى تكييف شرعي تصح به حركة الناس، وستكشف للناس حقيقة المساعي الخيرة التي يقوم بها العلماء في سبيل تخفيف معاناة الناس، في مواجهة سيل مشكلات الحياة اليومية في جوانبها المختلفة، مما يصعب على الناس خوض غماره بعيداً عن الفتاوى الشرعية التي تصدر عن العلماء في كل حادثة وكل معضلة يتعرض لها الناس (٢) .

---

(١) مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، ص ١٢٣ ـ ٢٠٤ .
(٢) انظر: الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ٧٤ ـ ٧٨ .

ومن ذلك ندرك أهمية إصلاح وسائل الإعلام في العالم الإسلامي في سبيل إصلاح العلاقة بين العلماء والناس، وإعادتها إلى ما كانت عليه من سلامة وصحة في عصور المسلمين الزاهية (١) من حيث كونها أدوات حقيقية لإحسان الصورة الذهنية عن العلماء .

ونعتقد في ختام رؤيتنا لعلاج ظاهرة القطيعة بين العلماء والناس أو تقوية الصلة بين العلماء والناس وإحسانها، أننا بما قدمنا من مقترحات نكون قد وجهنا الأنظار لهذه الظاهرة، وفتحنا باب النقاش حولها من قبل المختصين والمهتمين في الأمة لتكون المحصلة النهائية من ذلك كله درء خطر استفحال الظاهرة أو بقاؤها، ولا ندعي أننا قد أصبنا كبد الحقيقة فيما قدمنا، لكن نجزم أننا استفرغنا الوسع في الوصول للصواب والله حسبنا ونعم الوكيل .

وبالانتهاء من هذا المحور يكون البحث قد أجاب عن كافة التساؤلات التي أثيرت في نطاق دراسة موضوعه، وانتهى إلى ما سيجمله في النتائج .

---

(١) انظر: المحور الأول من هذا البحث، ص ٢١ ـ ٦٠ .

الخاتمة

وبها :

- خلاصة البحث .
- نتائج البحث .
- توصيات البحث .

أولاً: خلاصة البحث :

هذا البحث تركز حول دراسة العلاقة بين العلماء والناس في أطوارها المختلفة، عرض لما ينبغي أن تكون عليه هذه العلاقة في حالتها السوية بعد أن حدد مفهوم العلماء ومكانتهم، ومكانة العلم الذي يتميزون به، كما تناول ما كانت عليه في حياة السلف من حيث طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين عموم الناس والعلماء، وأسباب ذلك، ومن حيث طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين العلماء وولاة الأمر في المسلمين. ثم عرض للحالة التي عليها تلك العلاقة في وقت الناس الراهن من حيث كونها لم تعد بالحالة السوية التي كانت عليها، وشخص هذه الحالة من خلال بيان أسباب نشوئها، ونماذج من المظاهر التي تدل عليها والآثار التي ترتبت على خلل العلاقة، ثم عرض البحث إلى ما ينبغي أن تكون عليه هذه العلاقة واستعرض أهمية بناء الثقة بين العلماء والناس والعلماء والحكام في العالم الإسلامي، وضرورة الحفاوة بالعلماء وآرائهم، وإشراكهم في مسائل الحياة العامة، وأهمية تطهير وسائل الإعلام في العالم الإسلامي لتكون أداة العلماء في القيام بواجبهم تجاه نصح الأمة وإصلاح حياتها وخلص البحث إلى نتائج نرجو أن تكون سبيلاً قوياً لاختفاء الظاهرة وكاتبه يسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً متقبلاً، وأن ينفع به الأمة رعاة ورعية والله من وراء القصد .

ثانياً: النتائج :

لقد خرج الباحث بنتائج يرجو أن تكون ذات شأن في إصلاح حياة المسلمين هي :

١ ـ كشف البحث عن حقيقة العلاقة بين العلماء والناس في صورتها السوية، وحالة الاعتلال وما ينبغي أن تكون عليه .

٢ ـ حدد البحث أسباب الاعتلال وعوامله ومظاهره وآثاره بصورة تجعل مواجهته ممكنة .

٣ ـ عرض البحث مقترحاً متكاملاً حسب الطاقة والإمكان لما يعتقد أنه سبيل قويم لمعالجة حالة الاعتلال والخروج منها إلى حالة الصحة والسلامة .

٤ ـ أثبت البحث أهمية العلم والعلماء للحياة البشرية السوية .

٥ ـ كما أثبت البحث ضرورة بناء الثقة بين العلماء وحكام المسلمين في إصلاح حياة المسلمين، وأن ذلك من الأسباب القوية في بناء الثقة بين العلماء وعامة المسلمين .

ثالثاً: التوصيات :

يمكن للباحث في الحقيقة أن يقدم توصيات كثيرة ذات صلة ببحثه، غير أنه رغبة في الاختصار، وحرصاً على وضع التوصيات موضع التنفيذ يكتفي بتوصية أساسية وهي العمل بجد وإخلاص ومثابرة على إعادة العلاقة بين العلماء والناس عموماً، وخصوصاً إلى ما كانت عليه في عهود السلف الأولى، عن طريق بناء الثقة بين العلماء والحكام في بلاد المسلمين، وبناء الثقة بينهم وبين عامة الناس؛ بإظهارهم بالمظهر اللائق بهم وإحلالهم المنزلة التي تليق بمقامهم واتخاذ التدابير العملية التي تكفل ذلك والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قائمة المراجع

- رسالة خطبة الحاجة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٤ .
- الرأي العـام في ضـوء الإسـلام، المؤلف، دار عـالـم الكتب بالرياض، ط١، عـام ١٤١٠هـ.
- نحو منهجية إسلامية للعلوم الإنسانية الاجتماعية، المؤلف، دار السلم بالرياض، ط١ عام ١٤١٥هـ.
- منهج البحث في العلوم الإسلامية، د. محمد الدسوقي، دارالأوزاعي .
- الدراسـة الأولىٰ في مناهج البـحث الاجـتـمـاعي في القـرآن الكريم وعند علمائه ومفسريه، د. لبيب السعد، دار عكاظ للطباعة والنشر، ط١ عام ١٤٠٠هـ.
- فضل علم السلف، ابن رجب الحنبلي، مكتبة دار البيان ومكتبة لمزيد، ط١ عام ١٤١٣
- الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- من قضايا الصحوة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار المسلم، ط ١، عام ١٤١٦هـ.
- إصلاح القلوب، عبد الهادي حسن وهبي، مكتبة الدليل، ط١، عام ١٤١٦هـ.
- قواعد التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، ط١، عام ١٤١٥هـ.
- نحو دعوة إسلامية رشيدة، محمد عبد القادر، العبيكان، عام ١٤١٦هـ.
- الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، د. علي بن حسن علي القرني، مكتبة الرشد بالرياض، ط ١، عام ١٤١٥هـ.
- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، محمد صالح بن عثمين، دار المجد، ط ١، عام ١٤١٤هـ.
- العلماء هم الدعاة، د. ناصر العقل، دار الراية، ط١ عام ١٤١٢هـ.
- صحيح ابن ماجه للألباني .
- منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله، د. عبد الله الحوشاني، رسالة دكتوراه مقدمة

لكلية الدعوة والإعلام بالرياض.
- الدعوة إلى الإسلام وأركانها، دار السلام، ط ٢، عام ١٤٠٥هـ.
- تفسير النسفي، دار الكتاب العربي.
- النكت والعيون، مؤسسة الكتب الثقافية.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي.
- حاشية الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، جمع عبد الرحمن بن قاسم.
- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم بكار، دار المسلم بالرياض، ط١، عام ١٤١٧هـ.
- الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل، د. عبد الله التركي.
- مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاروق عبد المجيد حمود السامرائي، مكتبة دار الوفاء، بجدة.
- الإسلام وحركة الحياة، د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، ط ١، عام ١٤٠٩هـ.
- أثر العلم في تصحيح الحياة، د. صالح غانم السدلان، بحث مقدم للقاء السادس لعلماء غرب أفريقيا المنعقد في نواكشوط، في ٢٣-٢٦ / ١١ / ١٤١٣هـ.
- مجموعة فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز.
- نبذة مفيدة في حقوق ولاة الأمر، د. عبد العزيز العسكر.
- ضوء على تفكيرنا الديني في مطالع القرن الخامس عشر الهجري، محمد الغزالي، دار الاعتصام، ط ١، عام ١٤٠١هـ.
- طاعة أولي الأمر للدكتور عبد الله الطريقي، دار المسلم بالرياض، ط١، عام ١٤١٤هـ.
- فضائل الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله، محمد محيي الكاندهلوي، دار عمار بعمان، ط ١، عام ١٤١٢هـ.
- قضية وحوار (العنف في العمل الإسلامي المعاصر - قراءة شرعية ورؤية واقعية) مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، عام ١٤١٧هـ.
- التصفية والتربية وأثرها في استئناف الحياة الإسلامية، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار التوحيد، ط ٢، عام ١٤١٤هـ.

- الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع، دار الكتاب اللبناني، ط ١، عام ١٤١٤هـ، تحقيق ودراسة: د. إنعام نقال.
- تزكية النفس، أبو البراء سعد بن محمد، من غير إثبات، من تقديم الدكتور إبراهيم الفايز للكتاب.
- فتنة التكفير والحاكمية، محمد بن عبد الله الحسين، ط١، عام ١٤١٦هـ.
- نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، أحمد بن عبد الله الصويان، دار النشر الدولي بالرياض، ص ١، عام ١٤١٤هـ.
- خواطر على طريق الدعوة (جراح وأفراح)، محمد حسان، دار المسلم بالرياض، ط١، عام ١٤١٤هـ.
- فقه الخلاف بين المسلمين، د. ياسر حسين برامي، دار المسلم، ط ١، عام ١٤١٥هـ.
- النصيحة شروطها وضوابطها، د. عبدالعزيز المسعود، دار الوطن للنشر، ط١، عام ١٤١٢هـ.
- أسس الدعوة وآداب الدعاة، د. أبو بكر الجزائري، دار الشريف للنشر، ط١ عام ١٤١٤هـ.
- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، أبو عبد الله محمد بن علي القلعي، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار، ط١، عام ١٤٠٥هـ.
- المسئولية في الإعلام (النظرية والتطبيق) د. محمد البشر، دار عالم الكتب بالرياض، ط١ عام١٤١٧هـ.
- مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، المؤلف، بحث تحت الطبع.
- وظيفة الأخبار في سورة الأنعام، المؤلف، دار عالم الكتب بالرياض، ط٣، عام ١٤١٠هـ.
- دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية، المؤلف، دار المسلم بالرياض، ط١ عام ١٤١٦هـ.
- الدعوة إلى الله الواقع والأمل، المؤلف، دار عالم الكتب بالرياض، ط ١، عام ١٤١٥هـ.
- طرق تدريس القرآن الكريم، د. محمد السيد الزعبلاوي، مكتبة التوبة، ط١، عام ١٤١٧هـ.

- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري.
- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية.
- مدخل إلى الإعلام، المؤلف، دار عالم الكتب بالرياض، ط١، عام ١٤١١هـ.
- الخطاب الشرعي، طرق استثماره، د. إدريس حمادي، المركز الثقافي العربي، ط١ عام ١٩٩٤م.
- دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة والإعلام بالرياض عام ١٤١٧هـ.
- مجلة الرابطة، العدد ٣٨٥، ذو القعدة ١٤١٧هـ.

الفهـرس

الموضـــوع	الصفحة
	٧٩



مطبعة النرجس- ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

ردمك : ٩٩٦٠ - ٩١٧٥ - ٤ - ١